

أيام رمضان

ثلاثون كلمة في الصيام

تأليف

الدكتور صالح بن عبد الكريم الزيد

القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد

الرياض

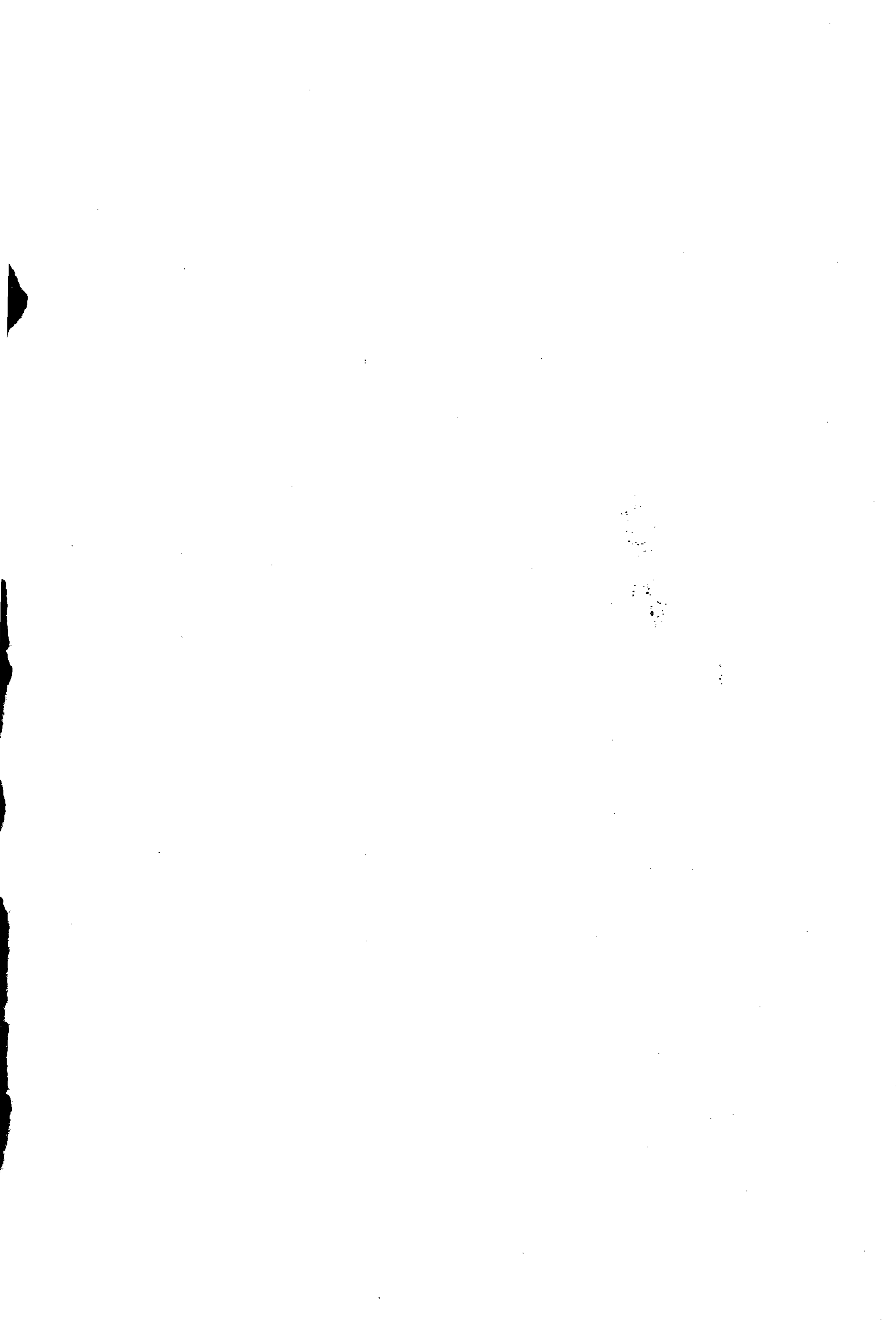
الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

Ⓒ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزيد ، صالح بن عبدالكريم
أيام رمضان : ثلاثون كلمة في الصيام.
١٠٤ ص ؛ ١٧× ٢٤سم
ردمك ٤-٢٢-٨٠٤-٩٩٦٠
١ - شهر رمضان ٢ - صلاة التراويح ٣ -زكاة الفطر ٤ - الصوم
٥ - ليلة القدر أ - العنوان
ديوي ٢٥٢،٣ ١٦/١٠٠٣

رقم الإيداع : ١٦/١٠٠٣
ردمك : ٤-٢٢-٨٠٤-٩٩٦٠

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
هاتف : ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥٠
فاكس ٤١١٢٩٣٢ - برقيا دفتر
ص.ب ٢٢٨١ ، الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١
سجل تجاري ٦٣١٣ الرياض


أيام رمضان
ثلاثون كلمة في الصيام



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، فضل شهر رمضان على سائر الشهور ، وفضل أيامه على سائر الأيام ، ضاعف فيه الأجور والإنعام ، وجعله غرة وجه العام ، شرع في نهاره الصيام ، وفي ليله القيام ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك العلاّم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رسول السلام ، أفضل من صلّى وصام ، وأتقى من تهجّد وقام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فهذه ثلاثون كلمة ، في شهر رمضان ، وبعض أحكام الصيام ، وصدقة الفطر والعيد ، كتبتها لنفسي ، وجمعتها من بعض الكتب المعتبرة ، وأضفت إلى بعضها ما أراه مناسباً للعصر ، وسمّيتها أيام رمضان ، نشرت في جريدة الرياض ، خلال أيام شهر رمضان لعام / ١٤١٥ هـ ، في صفحة (أيام رمضان) ، تحت عنوان ، (الصيام آداب وأحكام) ورأيت طبعها ونشرها ، خروجاً بها من الأدراج ، وحفظاً لها من الضياع ، وتعميماً للفائدة التي بها ، وإن كانت قليلة ، أسأل الله أن يجعل عملي فيها خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

حرر في ٥/ ١٠/ ١٤١٥ هـ

د / صالح بن عبد الكريم الزيد
المحكمة الكبرى بالرياض

(١)

استقبال رمضان

شهر رمضان سيد شهور السنة ، وأفضلها عند الله تعالى ، شهر عظيم مبارك ، شهر الصيام والقيام ، وموسم عظيم من مواسم الخيرات ، يقول تعالى فيه : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ والناس في استقبال شهر رمضان فئتان الفئة الأولى : فئة تفرح بقدوم هذا الشهر الكريم ، وتستعد له ، وتوطن نفسها على تحمله ، وتدعو الله أن يبلغها هذا الموسم العظيم ، لتنال من خيره وبركاته ، وتتعرض لما ينزله الله فيه من نفحاته ، وذلك اتباعاً لسنة المصطفى ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل شهر رجب يقول : « **اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان** » ، كما كان ﷺ يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ، فيقول : « **جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه ، فيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، تغلّ فيه الشياطين ، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم** » .

وقال عبد العزيز بن مروان : « كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان : اللهم قد أظلّنا شهر رمضان وحضر فسلّمه لنا وسلّمنا له ، وارزقنا صيامه وقيامه ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد

والنشاط وأعذنا فيه من الفتن » ، وكان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان فإذا صاموه دعوا الله ستة أشهر أن يتقبله منهم ، وكان من دعائهم : « اللهم سلّمني إلى رمضان وسلّم لي رمضان وتسلّمه مني متقبلاً » ، فكان كل وقتهم رمضان وتعلق برمضان ، ولسان حالهم كما يقول الشاعر :

مرحباً أهلاً وسهلاً بالصيامْ يا حبيباً زارنا في كلِّ عامْ
قد لقيناكَ بحبٍّ مُفْعمٍ كلُّ حُبٍّ في سوى المَولى حَرامْ
فاقبلِ اللهمّ ربّي صومَنَا ثمّ زِدْنا من عطاياكَ الجسامْ
لا تُعاقِبْنا فقد عاقَبَنا قلَقٌ أسْهَرَنا جنحَ الظَلامْ

وإذا حل بهم شهر رمضان ، استقبلوه بالبشر والسرور ، وهنأ بعضهم بعضاً بقدومه ، وصاموا أيامه إيماناً واحتساباً ، وقاموا لياليه غبطة واتباعاً .

وأما الفئة الثانية ؛ فهم بعكس الفئة الأولى ، لا يفرحون بشهر رمضان ولا يعدّون العدّة لاستقباله ، بل يعدّون العدة للهرب منه وقضاء أيامه عند غير المسلمين ، وإذا نزل بهم استثقلوا صيامه وقيامه ، وعدّوا لياليه وأيامه ، واعتبروه كالضيف الثقيل ينتظرون رحيله ، ويفرحون بكل يوم يمضي منه ، ويفرحون بالعيد ، لا للعيد ، ولكن لانقضاء شهر الصيام .

لقد استبطأ أحد هؤلاء الصيام ، في أول يوم من رمضان ، فشكا إلى أحد رفاقه طول شهر رمضان ، فهوّن عليه رفيقه ذلك ، وقال باللغة الدارجة : ما بقي إلا عشر وعشر وثمان وباكر وتالي هالنهار !

نسأل الله العليّ العظيم أن يجعلنا ممّن يفرح بشهر الصيام والقيام ، وأن يوفّقنا فيه للعمل الصالح ، ويرزقنا فيه الإخلاص والصدق واليقين ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، وهو على كل شيء قدير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٢)

الاحتفاء بشهر الصيام

شهر رمضان الكريم ، هو الشهر الوحيد الواجب الصيام ، وما عداه من أيام الصيام ، فصيامها مسنون ، لا يرقى إلى درجة الصيام في رمضان .

شهر رمضان الكريم ، هو الشهر الوحيد والوارد ذكره في القرآن ، وفي ذلك مزية له عن بقية الشهور ، ومزيد اهتمام ، شهر رمضان هو شهر نزول القرآن ، هو شهر الرحمة والغفران ، هو شهر مضاعفة الحسنات ، ورفع الدرجات ، والعتق من النار ، شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، شهر في ليلة القدر ، خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله .

يقول تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . . ﴾ .

ويقول فيه ﷺ : « **لو يعلم الناس ما في رمضان لتمنّت أمتي أن يكون رمضان السنة كلّها** » .

وإذا تدبّرنا ذلك ، وجدنا أن الله تعالى ، اختص المسلمين بصوم شهر رمضان ، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ زاد من فضله عليهم في هذا الشهر ، فأنزل فيه القرآن ، ليكون هدىً لمن آمن به واتبعه وعمل به .

ولما كان نزول القرآن من أعظم آيات الربوبية ، كان صيام شهر نزوله ، من أعظم آيات العبودية .

إن ليلة نزول القرآن ، خير من ألف شهر ، بل هي خير من أعمال كثيرة ، خلت من الهداية ، وأجدبت من الحق والخير والنور والسلام ، فكيف بكامل شهر الصيام .

إن شهراً كشهر رمضان ، حَرِيٌّ بالأمة أن تحتفي وتفرح به ، وتتفرغ له ، وتعدّ العدّة للاستفادة من أيامه ولياليه .

الاحتفاء بشهر رمضان أمر ينبغي أن تهتم به هذه الأمة التي استحفظت على كتاب الله .

الاحتفاء بشهر رمضان والقيام ـ بالنسبة لهذة الأمة ـ ضرورة دينية واجتماعية وثقافية وحضارية .

الاحتفاء برمضان أمر ينبغي أن يكون على درجة من الجديّة والعزيمة والقوّة والحماسة .

الاحتفاء برمضان لا يتمّ بمواكب تسير ، ولا رايات تخفق، ولا طبول تدقّ ، ولا مدافع تطلق ، ولا أغاني ورقصات وأهازيج ومسلسلات تعرض .

الاحتفاء برمضان لا يكون بالامتناع عن شهوتي البطن والفرج فحسب ، ولا بإظهار الضعف من الجوع ، والتماوت في الحركات والسكنات ، وكثرة النوم والكسل .

الاحتفاء برمضان لا يكون بالتفريط في الفرائض والواجبات ، ولا التوسّع في المأكل والمشرب والملذات والشهوات ، ولا في إضاعة الأوقات في الغيبة والنميمة ، وقول الزور ، ولا في الهرب عنه إلا بلاد الكفر ، للخنا ومقارفة المحرمات .

الاحتفاء برمضان يكون بالصيام الذي يورث التقوى ، التي هي الحكمة من الصيام كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقّون ﴾ .

الاحتفاء برمضان يكون بإخلاص النية لله تعالى ، والاجتهاد في الطاعات والعبادات ، والصوم بالقلب والجوارح عن كل الشهوات .

ليس لله حاجة في حِرماننا من شهواتنا ، إنما أراد الله أن يبني بالصيام إنساناً كاملاً عظيماً ، إنساناً يكون الله في قلبه بالدرجة الأولى ، وشهواته ومطالبه مهزومة لا تتسلط عليه .

وفّق الله الجميع لكل خير وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٣)

وجوب صيام رمضان

الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطّرات ، بنيّة التعبد ، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس ، وهو عبادة قلبية سرّيّة بين العبد وربه ، تعني الاستسلام لله تعالى ، والعبودية له ، يقول الرسول ﷺ : « **كلّ عمل ابن آدم له ـ قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يَدَعُ طعامه وشرابه من أجلي** » .

وقد اختص الله هذه الأمة ، بصيام شهر رمضان ، دون غيرها من الأمم ، تكريماً لها ، وسمواً بها ، فشهر رمضان ، رحمة كبرى من الله عز وجل ، وهديّة عظمى للمسلمين ، في كل زمان ومكان ، وقد أجمع أهل العلم ، على وجوب صيام شهر رمضان ، على كل مسلم بالغ عاقل ، قادر أداء وقضاء ، لقوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون ﴾ .

فهذه الآيات ، أصل في وجوب الصيام في شهر رمضان ، على المسلمين عموماً .

أما من لم يثبت الوجوب في حقه قبل دخول الشهر ، كالكافر يسلم في أثناء رمضان ، وبعد مضيّ جزء منه ، أو كان حديث عهد بالإسلام ، أو الصبيّ يبلغ في أثنائه ، فإنه يعلم بوجوب الصيام عليه حينئذ .

عن سفيان بن عبد الله ، عن ربيعة قال : حدثنا وفدنا ، الذين قدموا على رسول الله ﷺ بإسلام ثقيف ، قال : وقدموا عليه في رمضان ، فضرب له قبةً في المسجد ، فلما أسلموا ، صاموا ما بقي من الشهر ، ولم يأمرهم رسول الله ﷺ بقضاء ما فاتهم من الشهر ، لأنهم غير مطالبين بذلك ، يقول تعالى : ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ ، ولأن الإسلام يجُبُّ ما قبله .

أما من بدأ نهاره مفطراً ، ثم لزمه الصيام أثناء النهار ، وصار أهلاً ، كما إذا بلغ الصغير ، وطهرت الحائض ، وأسلم الكافر ، ووصل المسافر في أثنائه ، أو لم يبلغه ثبوت الشهر إلا نهاراً ، فإن عليه الإمساك بقية ذلك اليوم ، وقضاءه فيما بعد .

وأما اشتراط القدرة على الصوم ، فلقوله تعالى : ﴿ لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها ﴾ .

فمن لم يستطع الصيام بحال ، لشيخوخة ، أو مرض لا يرجى برؤه ، ونحوه فله أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم مسكيناً ، إذا كان واجداً لذلك .

روي أن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ضعف في آخر حياته عن الصوم ، فصنع جفنة من ثريد ، فدعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم .

فهنيئاً لمن بلغه الله شهر رمضان ، وهو صحيح معافى قادر على الصيام، فصامه إيماناً واحتساباً ، ففرح عند فطره باستكمال الصيام ، وفرح عند لقاء ربه بما يجده عنده مدخراً له من أجر الصيام ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .



(٤)

مراحل تشريع الصيام

لم يكن الصيام من خصائص هذه الأمة ، ولم يكن فرضه عليها لأول مرة في تاريخ الأديان ، ولا بدعاً في التشريع ، بل كان الصيام مشروعاً على الأمم السابقة قبلها ، يدلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ، وهذا تشبيه في التشريع ، وتشبيه بالكيفية ، فيه تسلية لمؤمني هذه الأمة ، وإشعار لهم ، بأن هذا طريق السالكين إلى الله ، وأن الله ـ عز وجل ـ قد فرض عليهم شيئاً ، سبق وأن فرضه على الأمم السابقة قبلهم ، كما أن فيه تخفيفاً على نفوسهم من شدّة الأمر بالصيام ، لأن المسلم إذا علم أنّه ، إنما كلّف بشيء قد فرض على من قبله ، لم يستثقله ، بل هان عليه التكليف ، وفرح به ، وتشجع عليه ، وسارع إلى أدائه ، واجتهد فيه ، ليكون أحسن من غيره في الأداء ، وليأتي بما لم يأت به غيره .

وكان أول صيام أمر به النبي ﷺ على شكل جماعي ، هو صيام يوم عاشوراء ، ففي الحديث : « أوّل ما قدم النبي ﷺ المدينة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عن صيامه ، فقالوا : يوم نجى الله فيه موسى من فرعون وقومه ، فصامه فصمناه ، أي : شكراً لله ، فقال ﷺ : « **نحن أحقُّ بموسى منكم** » ، فصامه وأمر الناس بصيامه .

وفي هذا الأمر ، ترويض للمسلمين على الصيام الجماعي ، والالتزام به في زمن معين ، على هذه الهيئة ، وفيه تهيئة لنفوس المسلمين لاستقبال صيام رمضان ، والالتزام به عند مشروعيته .

وقد ذكر العلماء أن الصيام لم يشرع على هذه الأمة مرّة واحدة ، فقد شرع صيام رمضان في السنة الثانية ، من الهجرة ، بعد أن مرت مشروعيته بمراحل :

الأولى :

الأيام المعدودات ، كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات . . . ﴾ .

والأيام المعدودات، قيل: هي الإثنين والخميس ، وقيل: الأيام البيض ، وهي ثلاثة أيام من كل شهر ، وقيل : غير ذلك .

الثانية :

التخيير بين الصيام أو الإطعام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ، إن كنتم تعلمون ﴾ .

الثالثة :

وجوب صيام شهر رمضان على كل مسلم ، حتماً ، إلا من كان له عذر ، فيجوز له الفطر ، والقضاء بعد ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات

من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

الرابعة :

التخفيف على المسلمين ، فقد كان الصوم ، يبدأ بأول نومة بعد صلاة المغرب ، أو من بعد صلاة العشاء ، ويبقى الصائم ممسكاً بقية الليل ، واليوم الذي يليه كله ، حتى تغرب الشمس ، ويحرم عليهم الأكل والشرب بعد النوم ، أو بعد صلاة العشاء ، ويحرم عليهم مباشرة النساء طيلة شهر رمضان ، فشقّ ذلك على المسلمين ، ووقع لبعضهم وقائع محزنة ، فخفّف الله عنهم ذلك ، وأباح لهم في ليالي رمضان كلّها ، الأكل والشرب والجماع ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهنّ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ فهنيئاً للأمة الإسلامية ، إن استوت مع غيرها من الأمم في عموم الأمر بالصيام ، واختصت وحدها بالتيسير والتخفيف والأجر التام .

وهنيئاً للمسلمين ، على صيام شهرهم ، وطاعة ربّهم ، وتيسير ربهم عليهم ، وفق الله الجميع لحسن الصيام والقيام ، وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٥)

فضل الصيام

الصيام ـ سواء كان فرضاً أو نفلاً ـ له خصائص كثيرة ، وفضائل جمّة ، في الدنيا والآخرة :

أولها :

أن الله اختص به لنفسه ، وأضافه إليه دون سائر العبادات يقول ﷺ : « **كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ـ قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي . . .** » .

فالأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد ، بل هو لله ـ عزّ وجلّ ـ يضاعفه أضعافاً كثيرة ، بغير حصر ولا عدد ، لأن الصيام من الصبر ، بل الصوم نصف الصبر ، والصبر لا يتجلّى في شيء من العبادات كما يتجلّى في الصيام ، قال الله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ في الحديث السابق : « هذا من أجود الأحاديث وأحكمها ، إذا كان يوم القيامة : يحاسب الله عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله ، حتى لا يبقى إلا الصيام ، فيتحمل الله ـ عزّ وجلّ ـ ما بقي عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة » .

فعلى هذا ، يكون أجر الصيام ، مدّخراً لصاحبه عند الله ـ عز وجل ـ فلا سبيل لأحد إلى نقص أجر الصيام بعد كماله ، فلله درُّ الصيام حيث كان بهذه المنزلة العالية المحصنة .

ثانيها :

أن الصيام سبب لسعادة المرء في الدنيا والآخرة ، فنتائجه الطيبة في الدنيا ، تظهر أولاً بأوّل ، فالمسلم الصائم ، يفرح عند فطره بأمرين :

١ ـ باستكمال صوم اليوم الذي مَنّ الله عليه بصيامه ، وقوّاه عليه ، وسهّله له .

٢ ـ بتناول ما أحلّ الله له من الطيبات ، بعد أن كانت محرّمة عليه .

ويفرح بصيامه عند لقاء ربه ، بما يلقاه عند ربه من أجر الصيام المحفوظ له يوم القيامة .

يقول ﷺ في الحديث السابق : « **للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه** » .

ثالثها :

أن في الصيام مساعدةً للشباب ، الذين لم يتمكنوا من الزواج ، في كبح جماح ما طّبع الله فيهم من الشهوة وإضعافها ، فالرسول ﷺ حثّ الشباب القادرين ، على الزواج ، وبين لهم محاسنه ، وفوائده الدينية والأخروية ، من غضّ للبصر وإحصان للفرج ، ودلّ غير القادرين عليه ، على الصيام ، لما فيه من كسر لحدّة الشهوة الغريزية ، التي تتحرّك عند وجود ما يثيرها ،

وإطفاء لأجيجها في هذا السنّ ، وخاصّة في مثل هذا العصر ، الذي ضعف فيه الوازع الدينيّ ، وكثر فيه التبرج والاختلاط ، وظهرت فيه أسباب الفتنة ، وتيسرت السبل إلى الفساد .

يقول الرسول ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فَلْيتزوَّجْ ، فإنه أغضُّ للبصر ، وأحصنُ للفرْج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء** » .

رابعها :

أن الصيام كفّارة لصغائر الذنوب إذا اجتنبت الكبائر ، وجُنّة يتقي به العبد من النار ، وطريق يوصل إلى الجنة ، يقول الرسول ﷺ : « **فتنة الرجل في أهله ، وماله ، وجاره ، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة** » .

ويقول ﷺ : « **من صام يوماً في سبيل الله باعدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفاً** » ويقول الرسول ﷺ : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي ربِّ ، منعته الطعامَ والشهوات بالنهار ، فشفّعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعني فيه . قال : فيشفعان له** » .

ويقول رسول الله ﷺ : « **إن في الجنة باباً يقال له الريّان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق ، فلم يدخل منه أحد** » .

هذه بعض فضائل الصيام وخصائصه ، وفضائل الصيام كثيرة ، وخصائصه لا تنحصر في مثل هذا المقام ، منها ما هو

ظاهر للعيان ، ومنها ما هو خفي ، لا يغوص عليه إلا الخواص، من العلماء .

☆ ☆ ☆

(٦)
خصائص شهر رمضان

شهر رمضان ، شهر عظيم مبارك ، فضّل على سائر الشهور ، وخُصّ عنها بعدّة أمور ، فُضّلت فيه الأعمال ، وضوعفت فيه الأجور ، له فضائل لا تُحصى ، وكرامات لا تُستقصى .

ذكر العلماء من خصائصه أشياء كثيرة ، منها :

١ ـ أنه شهر اختص بفرض الصيام ، فصيام شهر رمضان ركنٌ من أركان الإسلام ، وواجب بالكتاب والسنة والإجماع على كل مسلم مكلّف قادر ، فلا يجب صوم يوم من أيام السنة ، غير أيام شهر رمضان المبارك ، أداء أو قضاء ، يقول تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . . ﴾ .

٢ ـ أنه شهر أنزل الله فيه القرآن الكريم ، سواء كان المراد إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ـ كما ذكر بعض العلماء ـ أو كان المراد إنزال القرآن على محمد ﷺ ابتداء من شهر رمضان ، قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . . . ﴾ .

٣ ـ أنه شهر تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب النار ، وتصفّد فيه الشياطين ، وتكثر فيه الأعمال الصالحة ، ويتجلّى الله بالجود على عباده المؤمنين ، ويباهي ملائكته بالصائمين ، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : « **إذا جاء رمضان ،**

فتحت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب النار ، وصفّدت الشياطين » ويقول ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفّدت الشياطين ومردة الجنّ ، وغلّقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصِرْ ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة** » .

٤ ـ أن فيه ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، يقول تعالى : ﴿ إنّا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ .

٥ ـ أن شهر رمضان كله موسم للخيرات ، ومضاعفة الأجور ، وزيادة الحسنات ، فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، يقول ﷺ : « **من فطّر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء** » .

٦ ـ أن الجنة تتزين في شهر رمضان ، ففي الحديث : « **إن الله يزين كلّ يوم من شهر رمضان جنته ، ويقول : يوشك عبادي الصالحون ، أن يُلقوا عنهم المؤنة والأذى ، ويصيروا إليكِ** » .

وفي حديث آخر : « **إن الجنة تُجَدّد وتَزّيّن من الحَول إلى الحول ، لدخول شهر رمضان ، وتقول : اللهم اجعلْ لي في هذا الشهر من عبادك سُكّاناً** » .

٧ ـ أن شهر رمضان شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ،

وصبر على أقدار الله المؤلمة ، وتجتمع أنواع الصبر هذه كلها في الصيام ، فإن فيه صبراً على طاعة الله تعالى ، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات ، وصبراً على ما يحصل الصائم من ألم الجوع والعطش ، وضعف النفس والبدن ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه سمّى شهر رمضان شهر الصبر ، وفي حديث آخر أنه ﷺ قال : « **الصوم نصف الصبر** » .

٨ ـ أنه شهر إجابة الدعاء ، وخاصّة دعاء الصائم عند الإفطار ، يقول الرسول ﷺ : « **ثلاثة لا تردّ دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ويقول تعالى : وعزّتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين** » ويقول الرسول ﷺ : « **لكلّ مسلم دعوة مستجابة يدعو بها في رمضان** » . فهنيئاً لمن بُلّغ شهر رمضان ، فصامه إيماناً واحتساباً ، فغفر له ما تقدم من ذنبه ، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٧)

آداب الصيام

لكــل عبــادة أدبــاً وآدابــاً ، وآداب العبــادة ، هــي ســرّ صلاحها ، وقبولها عند الله ، فالعبادات كلها ، لا تقبل إلاّ إذا كانت خالصة لله تعالى ، موافقة لما جاء عن رسوله ﷺ ولكن لكل عبادة ، آداباً خاصة بها ، فآداب شهادة ألاّ إله إلا الله ، إخلاصها لله تعالى ، ومطابقة القلب لنطق اللسان ، وآداب الصلاة الخشوع فيها ، والخضوع لله ربّ العالمين ، وآداب الزكاة التواضع لمستحقّيها ، وكفّ المنّ والأذى عنهم عند إعطائهم ، وآداب الحجّ خلوه من الرفث والفسوق والجدال ، وآداب المعاملات كلّها السماحة والتيسير فيها ، يقول ﷺ : « **رحم الله امرأً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى** » .

أما الصيام ، فله آداب كثيرة ، ينبغي للصائم أن يتقي الله ، ويحرص على التحلّي بها ، لأن فيها طاعة ربه ، وحفظ صيامه ، وزيادة أجوره وحسناته .

فمن آداب الصيام :

إخلاص النية لله تعالى في الصيام، واحتساب الأجر، والمحافظة على الصلوات الخمس ، في أوقاتها مع الجماعة ، والإكثار من النوافل ، والمداومة على صلاة التراويح والتهجد مع الإمام ، وعدم الانصراف منها قبل أن ينصرف الإمام .

ومن آداب الصيام :

اقتفاء أثر الرسول ﷺ في الجود والبذل والإحسان ، في هذا الشهر الكريم ، وخاصّة في وقتنا هذا ، الذي كثر فيه المحتاجون ، من إخواننا المسلمين المجاهدين والمهاجرين والمعذبين في كلّ مكان ، وأنعم الله علينا فيه ، بالصحّة والإيمان ، والأمن والأمان ، ووفرة المال ، ولم يبق لنا حاجة ، إلا في عفو الله ورحمته ، وجوده وإحسانه ، في الصحيحين : كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ـ وعند أحمد ـ رضي الله عنه ـ : وكان لا يسأل عن شيء إلا أعطاه .

ومن آداب الصيام :

المداومة على قراءة القرآن ، ومدارسته ، وتعلمه وتعليمه ، ونشر علومه بين الناس ، فقد كان ﷺ يكثر من تلاوة القرآن الكريم في رمضان ، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يدارسه القرآن في رمضان .

ومن آداب الصيام :

أن يحفظ المسلم صيامه عن الفساد ، ويحفظ جوارحه عن أن تجرح الصيام ، فيحفظ لسانه عن القبيح من الكلام ، كاللغو والفسوق والرفث والشتم والغيبة والنميمة والكذب ، ويحفظ أذنه عن استماع المحرمات ، ويحفظ عينه عن النظر إلى الحرام .

ولا يظن أن الصيام هو ترك الطعام والشراب فقط ، فإن أهون الصيام : ترك الطعام والشراب ، فالتقرّب إلى الله بترك المباحات لا يكمل ، إلا بعد التقرّب إلى الله بترك المحرّمات ، فمن ارتكب المحرمات ، ثم تقرّب إلى الله بترك المباحات ؛ كان بمثابة من يترك الفرائض ، ويتقرب إلى الله بالنوافل .

يقول ﷺ : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** » .

ويقول ﷺ : « **رُبّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوعُ والعطش ، ورُبّ قائمٍ حظُّه من قيامه السهرُ** » .

ويقول ﷺ : « **الصيام جُنّة ، فإذا كان يومُ صوم أحدِكم فلا يرفثْ ولا يصخَب ، وإن سابَّهُ أحد أو قاتله ، فلَيقل : إني صائم** » .

قال جابر ـ رضي الله عنه ـ : إذا صمت فليصُم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقارٌ وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يومَ صومك ويومَ فطرك سواء .

وليعلم كلّ مسلم ، أن من التزم بآداب الصيام ، وفضائل رمضان ، اعتادت نفسه عليها ، وكانت سجيّة له بعد رمضان .

وفق الله الجميع لكل خير .

☆ ☆ ☆

(٨)
فوائد الصيام وحكمته

الصيام عبادة لله تعالى ، كغيره من العبادات المشروعة ، بنصّ الكتاب والسنة ، وإجماع الأمّة ، وشرعيّتها على هذا النحو ، يقتضي القيام بها على نحو ما وردت ، تعبداً لله تعالى ، وطاعة له ، دون السؤال عن فوائدها ، أو حكمة تشريعها .

وإذا اجتهد أحد من العلماء ، في بيان حكمة الصيام أو فوائده ، فلا يعني ذلك ، أن تشريع هذه العبادة ، يتوقف على وجود هذه الفائدة ، أو تلك الحكمة ، بل الأمر بالعبادة أمر تعبّدي بحت ، لا علاقة له بالحكمة ولا بالفائدة .

ولكن مع ذلك ، قد ذكر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ للصيام فوائد دينية واجتماعية وصحية ، تساعد معرفتُها المسلم ، على أداء هذه العبادة ، بنية صالحة ، ونفس مقبلة ، وقلب مطمئن .

فمن فوائد الصيام الدينيّة :

١ ـ ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، حيث قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتبَ عليكُم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكُم لعلّكم تتقون ﴾ ، ففي الصيام ، تربية للنفس على ملكة التقوى ، التي هي العلّة البارزة في الصيام ، وإذا تربّى المسلم على التقوى ـ التي هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به ، وترك ما نهي عنه ـ وعوّد نفسه عليها ، كانت سجيته في أعماله كلها ،

فسعد في دنياه وآخرته .

٢ ـ أن الصيام ، يعوّد المسلم على الصبر ، ويقوّيه عليه ، ويعلمه ضبط النفس ، ويساعده عليه ، قال ﷺ : « **الصيامُ نصفُ الصبر** » ، وقال الله تعالى في الصابرين : ﴿ إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

٣ ـ أن الصيام ، يطهّر النفس من الأخلاق السيئة ، والصفات الذميمة ، ويزكّيها ويهذبها ، فمثلاً ، إحساس الصائم بالجوع ، وأمره بالإنفاق في رمضان ، يقوي لديه شكر المنعم ، والرغبة في الجود والكرم ، ويضعف لديه صفة الشحّ والبخل .

وفي أمر الصائم بالإعراض عمن سابّه أو قاتله ، كما في قوله ﷺ : « **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم** » في ذلك تعويد للنفس على الحلم والصبر ، ومجاهدة النفس ، فيما يرضي الله تعالى ، ويقرب إليه .

٤ ـ أن الصيام يضيّق مجاري الدم ، التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فبالصيام تنكسر سورة الشيطان ، وسورة الشهوة والغضب . وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك ، وذكر أن الصيام ، وجاء للشباب الذين لم يستطيعوا مؤنة النكاح ، وقاطع لما جبلهم الله عليه ، من الشهوة الغريزيّة ، وفي ذلك صيانة لهم من الأخلاق الرذيلة والفساد .

ومن فوائد الصيام الصحيّة الظاهرة : أن في الصيام ، تنظيفاً للأمعاء والمعدة ، من سموم الأطعمة والأشربة ، وتطهيراً

للبدن من فضلات الأغذية ، ورواسبها القاتلة ، وتخفيفاً لوطأة السمنة ، وقد قال ﷺ في الحديث : « **صوموا تصحّوا** » .

ومن فوائده الاجتماعية ، أنّ في التزام المسلمين بالصيام في وقت واحد ، والإفطار في وقت واحد ، تعويداً للأمّة على النظام والإتحاد ، وفي وجوبه على جميعهم ، غنيهم وفقيرهم ، رئيسهم ومرؤوسهم ، إظهاراً للعدل والمساواة بين الناس ، وتنمية لعاطفة الرحمة والإحسان بين المسلمين .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد .

☆ ☆ ☆

(٩)

النية في الصيام

النية شرط من شروط صحة العبادات كلها ، لا يصح شيء منها ، بدون نية التعبد لله تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ ، ولقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى . . .** » .

والنية عند العلماء يراد بها معنيان :

أحدهما : تمييز العبادات عن العادات ، كتمييز الغسل في الجنابة ، عن غسل التبرد والتنظف .

والثاني : تمييز العبادات بعضها عن بعض ، كتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر ، وتمييز صيام رمضان عن صيام غيره ، ونحو ذلك .

والصيام ، سواء كان صيام فرض أو غيره ، عبادةٌ لا يصحّ إلا بنية ، لكنه يختلف عن العبادات الأخرى ، في كونه لا يتطلب فعل شيء ، وإنما هو ترك للطعام والشراب والجماع ، ونحو ذلك ، في مدة معينة ، مما جعل للنية في الصيام ، أحكاماً تختلف عن أحكام النية في غيره من العبادات الأخرى .

فلا يصحّ صيام شهر رمضان ، ولا غيره من الصيام الواجب ، إلا بنية من الليل ، يعيّن فيها ما يريد صومه ، من صيام رمضان ، أو غيره من قضاء أو نذر أو كفارة .

يقول ﷺ : « **من لم يبيّت الصيام قبل الفجر فلا صيام له** »

ويقول ﷺ: **«من لم يبيّت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له»**.

ولا يلزم من تبييت النيّة ، أن ينام المرء في أول الليل ، وفي نيّته أن يصوم غداً ، كما يتوهّم البعض ، بل تكفيه النيّة إذا حصلت قبل طلوع الفجر الثاني ، ولو ببضع دقائق ، مما فيه جمع بين الليل والنهار .

ومن أكل أو شرب ، بنية الاستعداد للصوم ، أو خطر بباله أنه صائم غداً ، كفاه ذلك ، حتى ولو أتى بعد النيّة ليلاً بما يبطل الصيام وينافيه ، كالأكل والشرب والجماع ، أما إن أتى بما ينافي النية بطلت ، كما إذا شك أو تردد فيها ، أو نوى الإفطار .

والمقصود بتبييت النية هنا ، في صيام الفرض فقط ، أما صيام التطوع ، فلا يلزم تبييت النية فيه ، بل يصح بنية من النهار ، قبل الزوال وبعده ، بشرط ألا يسبق منه ما ينافي الصيام ، بعد طلوع الفجر الثاني ، كالأكل والشرب ونحوه ، فإن أتى بما ينافي الصيام بعد طلوع الفجر ، ثم نوى الصيام ، لم يصح صومه ، لأن الإمساك هو المقصود الأعظم من الصيام .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : دخلَ عليَّ النبي ﷺ ذات يوم ، فقال : « **هل عندكم من شيء ؟** » فقلنا : لا ، قال : « **فإني إذاً صائم** » .

وأمر الرسول ﷺ أصحابه ، بصيام يوم عاشوراء ، في أثنائه .

ويحكم بالصيام الشرعي وثوابه من وقت النية ، لأن لكل امرىء ما نوى فقط ، وما سبق النية من إمساك ، لم تصاحبه نية العبادة .

ومن نوى الصيام في الليل ، ثم جن أو أغمي عليه جميع النهار ، ولم يفق ولو جزءاً يسيراً منه ، لم يصح صومه ، لأن الصيام إمساك مع النية ، ولا يمكن إضافة الإمساك إلى المجنون والمغمى عليه ، والنية وحدها لا تكفي .

في الصحيحين : « **يقول تعالى : كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشرة أمثالها ، إلاّ الصوم فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه من أجلي** » فأضاف ترك الطعام والشراب إليه ، ومن جن أو أغمي عليه جميع النهار ، لم يضف إليه إمساك البتة ، فلا يصح صومه إذاً .

اللهم بارك لنا في شهر رمضان ، ووفقنا لحسن صيامه وقيامه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(١٠)

السحور والإفطار

السحور هو :

الأكل والشرب في السحر آخر الليل بنية الصوم .

والإفطار هو :

قطع الصيام بعد غروب الشمس بأحد المفطرات .

يقول ﷺ : « **إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر** » ، ويقول ﷺ : « **تسحروا فإن في السحور بركة** » ، ويقول ﷺ : « **السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يتجرّع أحدكم جَرعة ماء ، فإن الله ـ عز وجل ـ وملائكته يصلّون على المتسحرين** » .

وكان رسول الله ﷺ يتسحّر ، ويسمّي السحور (الغداء المبارك) ، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **قرِّبي إلينا الغداء المبارك** » (يعني السحور) ، ويقول ﷺ : « **عليكم بغداء السحور فإنه هو الغداء المبارك** » .

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ في السحور حكماً كثيرة ، وفوائد كبيرة .

منها : أن فيه تعبداً لله تعالى ، في طاعة رسوله ﷺ فيما أمر به .

ومنها : أنه بركة في الطعام ، وعون للصائم على الصيام ،

وأيّ بركة أعلى من طعام يعين على طاعة الله ؟

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « **استعينوا بطعام السحور على صيام النهار ، وبقيلولة النهار على قيام الليل** » .

ومنها : أنه مخالفة لأهل الكتاب ، في صيامهم ـ كما تقدم ـ ومخالفتهم مطلوبة في كل شيء .

وليس المقصود من السحور الشبع وكثرة الطعام ، بل المقصود موافقة السنة وحصول الفضيلة ، وهذا يحصل ولو بالشيء القليل ، يقول ﷺ : « **من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء** » ، ويقول ﷺ : « **نعم سحور المؤمن التمر** » ، وتقدم في الحديث : « **ولو أن يتجرّع أحدكم جرعة ماء** » .

وأما الإفطار ، فيكون عند تحقق غروب الشمس ، والأفضل أن يتحرّى المسلم لفطره ، فإذا غربت الشمس أفطر ، ويكون إفطاره على رطب ، فإن لم يجد فعلى تمرٍ ، فإن لم يجد فعلى ماء ، ويستحبّ أن يفطر على وتر : ثلاث أو خمس أو سبع .

يقول أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : « **كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلّي ، فإن لم تكن فعلى تمرات ، فإن لم تكن حسا حسواتٍ من ماء** » .

ويستحبّ الدعاء عند الإفطار بما ورد ، فقد كان ﷺ يقول عند فطره : « **اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، ذهب الظمأ وابتلّت العروق وثبت الأجر إن شاء الله ، فتقبل منّا إنك أنت السميع العليم** » .

ومن السنة، تعجيل الفطر ، عقب تحقق غروب الشمس ،

وتأخير السحور إلى الجزء الأخير من الليل ، يقول ﷺ : « **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر** » ، ويقول ﷺ : « **لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور** » ، ويقول ﷺ : « **قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : أحبّ عبادي إليّ أعجلهم فطراً** » ، وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ : « لم يكن النبي ﷺ ليصلي المغرب حتى يفطر ولو على شربة من ماء » .

ومن شك في طلوع الفجر ، فله أن يأكل ويشرب ، حتى يتيقن طلوعه ، ويصح صومه ، لقوله تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . . . ﴾ .

ومن أكل شاكاً في غروب الشمس ، ودام شكه في ذلك ، لم يتم صومه ، لأن الأصل بقاء النهار ومن أفطر معتقداً غروب الشمس ، فتبين له خلاف ذلك ، فالصحيح أن صومه صحيح ، وليس عليه قضاء ، لأنه لا يزيد على أن يكون مخطئاً ، والخطأ معفو عنه ، فقد ثبت عن عمر ـ رضي الله عنه ، أنه أفطر ، ثم تبيّن النهار ، فقال : لا نقضي ، فإنّا لم نتجانف لإثم . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك : وهذا القول أقوى أثراً ونظراً ، وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس .

وفق الله الجميع لكل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(١١)

مبطلات الصيام

كما أن لكل عبادة أركاناً لا تقوم بدونها ، وشروطاً لا تصحّ بتخلّف أحدها ، ومسنونات تكمّلها ، وتجبر ناقصها ، فإن لها مبطلاتٍ تفسدها ، وتذهب أجرها ، وتنقص كمالها وجمالها .

والصيام له مبطلات كثيرة ، ومفطرات عديدة ، إذا تعمّد الصائم شيئاً منها ، فسد صيامه ، منها :

١ ـ الأكل والشرب : فإذا أكل الصائم أو شرب ، مختاراً ، ذاكراً لصومه ؛ فسد صيامه ، بنص القرآن ، والسنة ، وإجماع أهل العلم ، وعليه التوبة والاستغفار ، وإمساك بقية اليوم ، والقضاء ، إذا كان الصوم واجباً ، يقول تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ ، ويقول ﷺ : « **من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه** » ، وفي معنى الأكل والشرب : كل ما كان مغذّياً للجسم ، كالإبر التي توصل الغذاء والدم إلى الجوف ، ويستغنىٰ بها عن الطعام والشراب .

٢ ـ الجماع : ومما يحرم على الصائم ، ويفسد به الصيام الجماع ، فمن جامع نهاراً ، مختاراً ، ذاكراً للصيام ، بطل صومه ، وإن كان في أيام رمضان ، فعليه إمساك بقية اليوم ،

والتوبة والاستغفار ، والقضاء ، والكفارة ، وهي عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ، فإن لم يجد سقطت عنه الكفارة .

ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا جاء رجل فقال : هلكت يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : « **ما أهلكك ؟** » قال : وقعت على امرأتي في رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « **هل تجد ما تعتق به رقبة ؟** » قال : لا ، قال : « **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟** »قال : لا ، قال : « **فهل تجد ما تطعم به ستين مسكيناً ؟** » قال : لا ، ثم جلس ، فأتي النبي ﷺ بعزق فيه تمر ، فقال له النبي ﷺ : « **تصدق بهذا** » فقال : أعلى أفقر منا ؟ ، فما بين لابيتها أهل بيت أحوج إليه منا ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، فقال : « **اذهب فأطعمه أهلك** » .

وفي معنى الجماع : إنزال المنّي عمداً ، بمباشرة دون الفرج ، أو نظر ، أو استنماء ، أو غيره ، إلا أنها ليس فيه كفارة .

٣ ـ التقيؤ أو الاستفراغ : فإذا تعمد المرء إفراغ ما في معدته ، بأي سبب من الأسباب ، فقد فسد صومه ، وإذا كان صيامه صيام فرض ، فعليه القضاء ، وأما إذا غلبه القيء ، فلا شيء عليه ، وصومه صحيح ، يقول الرسول ﷺ : « **من استقاء عامداً فليقض ، ومن ذرعه القيء فلا قضاء عليه** » .

وفي معنى ذلك الحجامة ، وهي إخراج الدم الفاسد من الجسم ، فقد أتى النبي ﷺ على رجل بالبقيع ، وهو يحتجم في

رمضان ، فقال ﷺ : « **أفطر الحاجم والمحجوم** » .

٤ ـ خروج دم الحيض والنفاس : إذا حاضت المرأة أو نفست وهي صائمة ، فسد صومها بمجرد خروج الدم ، ولا يصحّ لها صيام ، وهي على هذه الحالة ، حتى ولو لم تتعمد ذلك ، وعليها القضاء ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « **كان يصيبنا ذلك ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة** » .

أما إذا نسي الصائم صيامه ، فأكل أو شرب أو جامع ، أو باشر شيئاً من المفطرات ، ثم ذكر ، فعليه الإمساك ، وصومه صحيح ، وليس عليه قضاء ، يقول ﷺ : « **من نسي وهو صائم فأكل أو شرب ، فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه** » .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(١٢)
الرخص في صيام رمضان

صيام نهار رمضان ـ كما تقدم ـ واجب على كل مسلم مكلف ، ولا يجوز لأحد أن يفطر ، في نهار رمضان ، إلا إذا كان غير مكلف كالصغير والمجنون ، أو وردت الرخصة له في الفطر . ونظراً لسماحة الإسلام ويسره ، فقد وردت الرخصة ، لبعض الفئات بالفطر ، والقضاء والكفارة فيما بعد ، أو أحدها ، مراعاة لظروفهم الخاصة المؤقتة ، كالمسافر ، ومن يشق عليه الصيام ، أو يضره ، ومن احتاج الفطر ، لمصلحة مسلم ، أو إنقاذه من هلكة ، ونحو ذلك .

١ ـ المسافر : إذا شرع الصائم في سفر مباح مسافة قصر ، فقد رخص له في الفطر والقضاء فيما بعد، سواء شق عليه الصيام في السفر ، أو كان سفره مريحاً ، لا يشق عليه الصيام فيه ، لكن إن كان يشق عليه الصيام في السفر ، فالفطر أفضل ، وإن كان لا يشق عليه الصيام ، فالصيام أفضل ، قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان ، فمنّا الصائم ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم ، ثم يرون أن من وجد قوة فصام ، فإن ذلك أحسن ، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر ، فإن ذلك أحسن » وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « أن النبي ﷺ خرج من المدينة ومعه عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمان سنين

ونصف من مقدمه المدينة ، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة يصومون حتى إذا بلغ الكديد ـ وهو ماء بين عسفان وقديد ـ ، أفطر وأفطروا » .

٢ ـ الذي يشق عليه الصيام أو يخاف منه الضرر على نفسه ، كالمريض مرضاً يرجى برؤه ، والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما ، وكل من كان له عمل ، يتضرر بتأخيره ضرراً بليغاً ، ولا يمكن الجمع بينه وبين الصيام .

فإذا أدرك شهر رمضان أحد هؤلاء ، وهو يقدر على الصيام بلا مشقّة صام ، وإن كان يشقّ عليه الصيام ، أو خاف على نفسه الضرر منه ، سنّ له الفطر ، والقضاء فيما بعد ، وإن احتمل وصام أجزأه ، يقول تعالى : ﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ .

٣ ـ العاجز عن الصيام : كالشيخ الكبير ، الذي لا يستطيع الصيام ، والمريض مرضاً دائماً ، لا يرجى برؤه ، لا يجب على أحد منهما الصيام ولا القضاء ، بل يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وهو مايجزىء في الكفارة ، مُدّ من بُرّ ، أو نصف صاع من غيره ، من الطعام ، يقول تعالى : ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ .

وإن سافر المريض مرضاً لا يرجى برؤه في رمضان أفطر ، وليس عليه قضاء ، لأنه عاجز عن الصيام ، ولا فدية ، لأنه أفطر بعذر معتاد وهو السفر .

٤ ـ من أفطر لمصلحة غيره : كالحامل والمرضع ، إذا خافتا على ولديهما من أثر الصيام ، وكرجال الدفاع المدني

ـ مثلاً ـ إذا احتاجوا إلى ذلك ، وكل من احتاج الفطر ، لإنقاذ مسلم من هلكة ، فمن أفطر لمصلحة غيره ، فعليه القضاء والكفارة .

وأجاز شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الفطر للتقوّي على الجهاد ، وفعله ، وأفتى به لما نزل العدو دمشق في رمضان ، وقال : هذا فطر للتقوي على جهاد العدو ، وهو أولى من الفطر في السفر ، والمسلمون إذا قاتلهم عدوهم وهم صيام ، لم يتمكنوا من النكاية فيهم ، وربما أضعفهم الصوم عن القتال ، فاستباح العدو بيضة الإسلام ، ولا يشك فقيه ، أن الفطر هنا ، أولى من الفطر في السفر .

وقال ابن القيم : إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما ، وفطر من يخلص الغريق ، ففطر المقاتلين أولى بالجواز .

وفق الله الجميع لكل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(١٣)

ما يجوز للصائم فعله

لما كان الصيام هو الإمساك عن المفطرات ـ التي سبقت الإشارة إليها ـ طيلة النهار ، فإن الصائم ، يحتاج ـ في العادة ـ إلى أفعال تتعلق بهذه المفطرات ، لا تؤثر على الصيام ، امتن الله بها على عباده الصائمين ، تخفيفاً عليهم ، ورفعاً للحرج والمشقة عنهم ، منها :

١ ـ ما يتعلق بالأكل والشرب :

يجوز للصائم بلع ريقه ، وتذوق الطعام لمصلحة ، ومضغه للصغير ، الذي يحتاج إلى ذلك ، بشرط ألّا يصل إلى جوفه منه شيء .

كما يجوز للصائم استعمال الماء ، فيما عدا الشرب ، فيجوز له المضمضة والاستنشاق ، بدون مبالغة ، خشية أن يسبقه الماء إلى حلقه ، يقول ﷺ : « **وبالغ في الاستنشاق إلّا أن تكون صائماً** » فالاستثناء في المبالغة فقط .

ويجوز للصائم الاغتسال والسباحة ، والبقاء بالماء لأجل التبرد ، جاء عنه ﷺ « أنه كان يصب الماء على رأسه من الحرّ وهو صائم » .

ويجوز للصائم السواك في كل وقت وهو سنة ، وخاصة في المواضع الستة التي ورد النص عليها ، ولم يرد نص

صحيح ، باستثناء الصائم قبل الزوال ولا بعده ، يقول ﷺ : « **لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة** » .

وأما معجون الأسنان ، فالأولى عدم استعماله وقت الصيام ، لأن طعمه ينفذ إلى المعدة ، ولا يمكن التحرز منه ، وهو من قبيل المبالغة في المضمضة ، المنهي عنها للصائم .

ويجوز للصائم التطيب بالبخور ، وإصلاح الشعر وترجيله ، والإدهان بالمركبات الحديثة ، فقد كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ترجل رسول الله ﷺ وهو معتكف في المسجد ، ويدخل لها رأسه ، فترجله وهي في بيتها .

ويجوز للصائم التداوي بما يحتاج إليه ، إذا لم يصل إلى المعدة ، كاستعمال البخاخ لمرضى الربو ، وأخذ الإبر في الوريد وغيره ، إذا لم يستغن بها عن الطعام أو الشراب ، وسحب الدم القليل ، للتحليل أو التبرع ونحوه .

أما التداوي بالحجامة ونحوها ، كسحب الدم الذي يؤدي إلى ضعف البدن ، فقد سبقت الإشارة إلى أن ذلك من المفطرات .

٢ ـ ما يتعلق بالجماع :

بالنسبة لليالي رمضان ، فيجوز فيها ما يجوز في ليالي غيره من الأكل والشرب ومباشرة النساء ، قال تعالى : ﴿ أحلّ لكم ليلةَ الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين

لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل . . . ﴾ .

أما في نهار رمضان ، فيجوز للصائم من مقدمات الوطء ودواعيه ، من القبلة واللمس والمعانقة ، ونحوها ، ما لا يحرك شهوته ، ولا يؤثر على سلامة صيامه ، فقد كان رسول الله ﷺ يقبّل بعضَ نسائه ، وهو صائم ، قالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يقبِّلُ وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ، ولكنه كان أملَكَكُم لإرْبِهِ » .

وإذا كان الصائم لا يملك نفسه ، ومقدّمات الوطء تحرّك شهوته ، فيُكره له ذلك ، وإذا أثرت على سلامة صومه ، وخاف الإنزال ، أو أن يتقرب بالمقدمات إلى ما هو محرم على الصائم ، حرم عليه ذلك ، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : « أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن المباشرة للصائم ، أي المداعبة والملامسة باليد ، فرخّص له ، وأتاه آخر فنهاه عنها ، فإذا الذي رخّص له شيخ ، وإذا الذي نهاه شاب » ، والتعبير بالشيخ والشاب ، جرى مجرى الغالب فقط ، فلو انعكس الأمر انعكس الحكم .

ومما يتعلّق بالجماع ، ولا يؤثر على الصيام ، أن ينوي الصائم الصيام وهو جنب ، ويصبح قبل الاغتسال ، قالت عائشة وأم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ : « كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من جماع غير احتلام ، ثم يصوم رمضان » .

وفق الله الجميع لكل خير ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(١٤)

القيام في رمضان

قيام الليل بالصلاة والتهجّد ، سنة وفضيلة ، حافظ عليه المصطفى ﷺ وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ في كلّ وقت ، وفي شهر رمضان خاصّة ، وهو في حقه ﷺ واجب ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . . . ﴾ ، ووقته ما بين العشاء والفجر ، والأولى أن يكون عقب النوم ، أو في النصف الأخير من الليل ، والصلاة والدعاء والتهجد ، آخر الليل وأوقات السحر أفضل .

وفي قيام الليل ، يقول تعالى : ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ ، ويقول النبي ﷺ : « **أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** » .

وقد خصّ شهر رمضان بالفضل ، ومضاعفة الأجر ، وقيام الليل من سماته المشهورة ، ومظاهره البارزة ، التي تتميز بها لياليه ، عن غيرها من ليالي السنة ، وفيه يقول ﷺ : « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه** » ويقول ﷺ : « **من قامَ مع الإمام حتّى ينصرف كُتب له قيام ليلة** » .

وكان له ﷺ من الاجتهاد في رمضان ، ما ليس له في

غيره ، وخاصة في العشر الأواخر منه ، فكان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد مئزره ، وتفرغ لعبادة ربه .

وليس لقيام رمضان صفة محدّدة ، لا يصحَ بدونها ، فإن العبد قد ينشط ، فيكون الأفضل في حقّه تطويل العبادة ، وقد لا ينشط فيكون الأفضل في حقّه تخفيفها .

كما ليس في قيام رمضان ، عدد محدّد ، لا يزاد فيه ولا ينقص ، ومن ظن ذلك فقد أخطأ ، فقط قال النبي ﷺ للأعرابي الذي سأله عن صلاة الليل : « مثنى مثنى » ولم يبين له عدداً محدداً .

وأصح ما ورد فيه ، قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » . لكنه ﷺ كان يطيل صلاته ، ويحسنها بالترتيل والتأنّي ، والخشوع والخضوع لله رب العالمين ، ثبت عنه في الصحيح ، أنه ﷺ كان يصلّي بالليل إحدى عشرة ركعة ، في رمضان وغيره ، ولكنه يطيل القراءة والأركان ، حتى أنه قرأ مرة ، أكثر من خمسة أجزاء في ركعة واحدة ، مع الترتيل والتأني ، وثبت عنه أنه كان يقوم عند نصف الليل ، ويستمر في الصلاة إلى قرب طلوع الفجر ، فيصلّي ثلاث عشرة ركعة ، في نحو خمس ساعات، وهذا يستدعي الإطالة في القراءة والأركان .

وكان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والسلف الصالح ، يعمرون المساجد في ليالي رمضان ، بالصلاة وذكر الله وقراءة القرآن ، ولهم في ذلك دوي كدوي النحل ، ويستعينون على

القيام بالعصا ، ويجدون في مناجاة الله تعالى ، من اللذة ما لايجدونه في المنام .

وفق الله الجميع لحسن الصيام والقيام ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(١٥)

صلاة التراويح

صلاة التراويح : سنة مؤكدة ، من أشهر مظاهر القيام في رمضان ، ومن أعلامه البارزة ، صلّاها رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم تركها خشية أن تفرض عليهم ، روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل ، فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج ﷺ لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر ، أقبل على الناس ، فتشهد ثم قال : « **أما بعد فإنه لم يخف عليّ مكانكم ، لكني خشيت أن تفرض عليكم ، فتعجزوا عنها** » .

واستمر الأمر على ذلك في حياة النبي ﷺ ، فلما توفي ﷺ وانقطع التشريع ، ولم يكن هناك مجال للخوف من فرضية صلاة التراويح ، قام عمر ـ رضي الله عنه ـ بجمع الناس في صلاة التراويح على إمام واحد .

قال عبد الرحمن القاري : خرجت مع عمر ـ رضي الله عنه ـ ليلة في رمضان إلى المسجد ، فوجدهم أوزاعاً متفرّقين ، يصلّي الرجل لنفسه ، ويصلّي الرجل ، فيصلّي بصلاته الرهط ،

فرأى عمر أن يجمعهم على إمام واحد ، فجمعهم على أُبيّ بن كعب ، هكذا وردت صلاة التراويح .

أما عدد ركعاتها فقد اختلف فيه ، فقيل : إحدى عشرة ركعة ، وقيل : ثلاثَ عشرةَ ، وقيل : ثلاث وعشرون ، وقيل : أكثر من ذلك ، وأصحّ ما ورد فيه ، ما تقدم من قول عائشة - رضي الله عنها - : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » .

والظاهر أن العدد غير مقصود بذاته ، فمن صلى مثل صلاة النبي ﷺ في الإطالة والحسن ، صلى إحدى عشرة ركعة ، وإلا صلى ما شاء بدون تحديد عدد معين .

وأما وقتها : فالأولى ملاحظة أحوال الناس ، وحاجاتهم ومشاغلهم ، ومراعاتها ، والتوسعة عليهم في وقت الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وطولها وقصرها ، وتمكينهم من أداء الصلاة بيسر وسهولة ، دون إخلال في أركانها وواجباتها وسننها .

فكثير من الناس يتعارض وقت الدوام لديه مع وقت صلاة التراويح ، كموظفي المستشفيات والشركات ، وأصحاب الأعمال في المتاجر والأسواق ، وليس لهم حاجة في تضييع الوقت بين المغرب والعشاء ، ولا بد أن يجدوا من أئمة المساجد من يبادر بأداء صلاة التراويح ، في أول وقتها ، حتى يتمكنوا من الجمع بين الصلاة والعمل .

وبعض الناس لا يقدر على طول القيام ، والركوع والسجود ، لضعف أو مرض ، أو غير ذلك ، ولا بد أن يجد من أئمة المساجد من يخفف الصلاة ويراعي حالته .

وبعض الناس ، قد مَنّ الله عليه بالتفرغ للعبادة في رمضان ، وأعطاه الله من القوة والتحمل ، ما يجعله قادراً على طول القيام ، والركوع والسجود ، والصلاة كل الليل ، ولديه من الوقت ، ما يجعله يستطيع صيام رمضان كله في مكة المكرمة ، التي يناسب فيها تأخير الصلاة ، لبعد المساكن ، وتفرغ الناس هناك للصلاة ، وتقديم الصلاة فيها أو تأخيره ، لا يؤثر على أحد .

فالناس في القدرة على صلاة التراويح مستويات ، كالمستويات الدراسية ، فكما أن طالب الجامعة لا يصل إليها إلا بعد المرور بالمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، فكذلك المصلون مستويات مختلفة ، منهم المبتدؤون ، والضعفاء - سواء في أجسامهم أو إيمانهم - وأصحاب الحاجات والوظائف ، يحتاجون إلى أئمة ييسّرون عليهم ، ويراعون ظروفهم بالتخفيف والتبكير ، حتى يقوى إيمانهم ، وتشتد عزيمتهم في العبادة .

ومنهم المتمكنون ، والمتفرغون للعبادة في رمضان ، الذين همهم البحث عن من يطيل الصلاة ويحسن القراءة ، ويشغل أكثر الليل بالصلاة .

وكما أن طالب الجامعة ، لا يمكن حشره مع طلاب المدرسة الابتدائية ، وإذا حشر معهم لم يستطع البقاء ، وطالب الابتدائي لا يمكن حشره مع طلاب الجامعة ، وإذا حشر معهم لم يستطع البقاء ، فكذلك المصلّون ، على اختلاف مستوياتهم وحاجاتهم ، وقوة إيمانهم ، لا يمكن إلزامهم وحشرهم بطريقة واحدة ، ووقت واحد ومستوى واحد ، وفق الله الجميع لكل خير .

(١٦)

الجهاد في رمضان

شهر رمضان ، ليس شهراً للصوم والخلود إلى الراحة والنوم ، أو شهراً للبطالة والتواكل والكسل ، كما يظنه بعض الناس أو يفهمونه اليوم ، حينما يرون تخفيف الدوام الرسمي وتأخيره ، بل هو شهر العمل والكسب والتضحيات ، شهر الجد والاجتهاد ، شهر الصبر والمثابرة ، شهر الجهاد في سبيل الله ، شهر النشاطات المختلفة ، والهمم العالية .

وإذا كان الجهاد في سبيل الله ، ذروة سنام الإسلام ، وفضله عظيم في كافة أيام السنة ، كما قال ﷺ : « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** » ، فإن الجهاد في شهر رمضان ، أكثر فضلاً ، وأعظم أجراً ، وفضل الجهاد في سبيل الله في رمضان ، كفضل شهر رمضان على سائر الشهور .

والجهاد في سبيل الله : اسم لكل ما فيه عز للإسلام ، ونصر للمسلمين ، لا يقتصر على الجهاد بالنفس ، أو مواجهة العدو في الميدان فقط ، بل الجهاد كما يكون بالنفس ، يكون بالمال واللسان ، يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن

كنتم تعلمون ﴾ .

لقد فرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة ، وصام رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وفرض الصيام ، تسع رمضانات ، ولم يكن شهرُ رمضان في عهد رسول الله ﷺ شهرَ دَعَة ولعب ، وخلود إلى الراحة ، بل كان شهراً لاستقبال الوفود ، شهراً للجهاد والفتوحات الكثيرة ، شهراً للأعمال المختلفة والنشاطات الكبيرة ، ففيه غزوة بدر الكبرى ، التي فرق الله بها بين الحق والباطل ، وسمّى الله يومها يوم الفرقان ، وفيه فتح رسول الله ﷺ مكة ، وهدم أصنام العرب ، وزالت بسبب ذلك سلطة الوثنية ، من جزيرة العرب كلها ، وأصبح الإسلام عزيزاً في أنحائها .

وفيه بعث رسول الله ﷺ عدة سرايا .

منها سرية عمرو بن عدي الخطمي ، لقتل عصماء بنت مروان اليهودي ، لإيذائها المسلمين .

ومنها سرية زيد بن حارثة ، لقتل فاطمة بنت ربيعة ، في وادي القرى ، عندما اعترضت هي وقومها لزيد ، وضربوه وأخذوا بضاعته .

ومنها سرية عبد الله بن عتيك ، لقتل سلام بن أبي الحقيق بخيبر ، عندما اشترك في تحزيب الأحزاب ، على رسول الله ﷺ في غزوة الخندق .

والتاريخ الإسلامي ، مليء بالمعارك الفاصلة ، التي وقعت في رمضان .

من أهمها معركة عين جالوت ، بين المسلمين والصليبيين ،

والتي كانت حاسمة في كسر شوكة الصليبيين ، وانحسارهم عن بلاد المسلمين ، ووقف مددهم .

ومن الوقائع الفاصلة في رمضان ، في العصر الحاضر ، حرب العاشر من رمضان ، بين المسلمين واليهود في فلسطين ، عام ١٣٩٣ هـ .

وهكذا فشهر رمضان ، عند المسلمين - في كل زمان ومكان ، جهاد وعمل ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وتعليمٌ للخير ، ونشر للدعوة ، ومواقف خالدة ، وبطولات مجيدة .



(١٧)
يوم الفرقان

لما فرض صيام شهر رمضان ، في السنة الثانية من الهجرة وصامه رسول الله ﷺ ، وكان في أصحاب رسول الله ﷺ حاجة ، خاصة المهاجرين منهم ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، ظلماً وعدواناً ، وكانت عير لقريش ، قد قدمت من الشام ، معها أموال كثيرة ، خرج رسول الله ﷺ لاعتراضها ، وندب المسلمين إليها ، فخرج معه منهم ثلاثمائة وأربعة عشرة رجلاً ، وليس معه إلا سبعون بعيراً ، يتناوبون الركوب عليها ، كل ثلاثة نفر على بعير واحد ، وكان النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب ، ومرثد الغنوي على بعير واحد ، ويروى أنهما لما جاءت نوبة مشيه ، قالا له : نحن نمشي عنك يا رسول الله ، قال : « **ما أنتما بأقوى مني ، ولاأنا بأغنى عن الأجر منكما** » ، فلما علم المشركون بخبر خروج النبي ﷺ إلى العير ، أخذ قائد القافلة بها نحو الساحل ، واستنفر قريش لحماية أموالهم ، فخرجت بخيلها وخيلائها ، لحماية القافلة ، ولما علمت أن المسلمين ، لم يتمكنوا من القافلة ، ووصلت إلى مكة بسلام ، عزموا على مواصلة السير لمقاتلة المسلمين ، حتى التقت معهم في بدر ، واستشار الرسول ﷺ أصحابه في القتال ، فأشاروا عليه به ، وقال سعد بن عبادة : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده ، لو خضت بنا البحر ، لخضناه معك ، لا نقول لك كما

قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك ، وبين يديك ومن خلفك .

وكانت استشارة النبي ﷺ لأصحابه ، إشعاراً لهم بالمسؤولية التي ألقيت على كواهلهم ، وحثاً لهم على البذل والجهاد في سبيل الله ، وإظهاراً للتلاحم بين المسلمين ، وكان من نتائج ذلك ، أن النبي ﷺ لما نزل بالمسلمين عند أول المياه في بدر ، سأله المقداد قائلاً : أهذا منزل أنزلكه الله أياه ، يا رسول الله ، أم هي الحرب والمكيدة ، فقال الرسول ﷺ : « **بل هي الحرب والمكيدة** » ، فقال : أرى أن نتقدم إلى آخرِ بئر ناحية العدو ، ونغور بقية الآبار خلفنا ، فنختص بالماء وحدنا عنهم ، فاستحسن النبي ﷺ هذا الرأي ، وجاء الوحي من السماء مؤيداً لهذا الرأي .

وقد سرّ النبي ﷺ بوعد ربه له بالنصر ، في قوله تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم *ويريدالله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ ، وبما رآه من تلاحم بين المسلمين ، وإجماعهم على القتال ، واستشعار كل فرد منهم ، بالمسؤولية الملقاة عليه .

وقد سهر ﷺ ليلة الجمعة ، السابع عشر من رمضان قائماً ، يبكي ويدعو ربه ، يرفع يديه إلى السماء ، ويبتهل إلى الله ـ عز وجل ـ ، ويسأله النصر على أعدائه ، ويقول : « **اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم نصرك الذي وعدتني ، اللهم إن**

تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم في الأرض » ، وبعد أن أخذ المسلمون مصافهم ، قام النبي ﷺ يحرض المؤمنين على القتال ، فقال : « **والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة** » ، وحصل اللقاء بين الحق والباطل ، بين المؤمنين الذين يقاتلون إيماناً واحتساباً ، ورغبة فيما عند الله ، وحباً في الشهادة في سبيله ، وإيثاراً للدار الآخرة ، وبين الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ، ويصدّون عن سبيل الله ، وأنزل الله جنداً من السماء ، فكان النصر المؤزر للمسلمين .

يقول تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . . . ﴾ .

وهكذا ، كان هذا اليوم من شهر رمضان ، فرقاناً بين الحق والباطل ، وتحولاً كبيراً في حياة المسلمين ، ومنطلقاً لهم لتحقيق النصر في الغزوات اللاحقة ، وفّق الله المسلمين إلى العودة بالإسلام إلى منابعه الصافية ، وصلى الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(١٨)
القرآن في رمضان

شهر رمضان هو شهر القرآن ، ففي ليلة القدر من شهر رمضان ، أنزل القرآن من اللوح المحفوظ ، إلى السماء الدنيا ، وفي شهر رمضان بدأ نزول القرآن على نبينا محمد ﷺ في غار حراء ، وفيه كان جبريل ـ عليه السلام ـ يدارس نبيّنا محمداً ﷺ القرآن ويعارضه إياه ، كل عام .

ولهذه الأسباب مجتمعة ، لا بد أن تكون عناية المسلم بالقرآن ـ في هذا الشهر الكريم ـ مضاعفة ، كما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من بعده يقول تعالى : ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ۞ ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور ﴾ ، ويقول النبي ﷺ : « **اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه** » .

فقراءة القرآن ، والإكثار من تلاوته في كل وقت ، من أفضل العبادات ، وأعظم القربات ، وأجل الطاعات ، وفيها أجر عظيم ، وهي التجارة الرابحة مع الله تعالى ، في كل زمان ، ولكنها في شهر رمضان لها شأن عظيم ، فإن النبي ﷺ كان له عناية خاصة بالقرآن في شهر رمضان ، يقول ﷺ : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصوم : رب منعته**

الطعام والشراب بالنهار ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنا به » .

لقد كانت كل ليلة ، من ليالي شهر رمضان الكريم في كل عام ، موسماً ، لتدارس القرآن الكريم ، ومراجعته ، بين جبريل ـ عليه السلام ـ وبين النبي ﷺ وفي العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ، دارسه إياه مرتين ، ومن خلال ذلك ، يتم إثبات ما أمر الله بإثباته ، ونسخ ما أمر الله بنسخه ، كما قال تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كلّ ليلة من رمضان فيدارسُه القرآن ، فَلَرسول الله ﷺ أجودُ بالخير من الخيل المرسلة » ، وكان ﷺ يكثر من تلاوة القرآن الكريم في رمضان ، ويطيل القراءة ، في قيامه أكثر مما يطيل في غيره ، فقد صلى ليلة فقرأ بالبقرة ، ثم بآل عمران ، ثم بالنساء ، لا يمر بآية تخويف ، إلا وقف عندها يسأل ، فما صلى ركعتين حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة ، وكان السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ، يخصصون جزءاً كبيراً من وقتهم في رمضان، لقراءة القرآن ، وتدارسه ، وتعلمه وتعليمه، وتدبر آياته ، وإذا صاموا جلسوا في المساجد ، لقراءة القرآن ، وقالوا : نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً .

وكان الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ ، إذا دخل شهر رمضان ، ترك قراءة الحديث ، والاشتغال به ، وتفرغ لقراءة القرآن .

وقال الزهري رحمه الله : إذا دخل رمضان ، فإنما هو قراءة القرآن ، وإطعام الطعام فاللائق بالصائم أن يكون شعاره في رمضان دائماً ، متابعة النبي ﷺ والاقتداء بالسلف الصالح من الأمة ، والحرص على قطع الوقت ، في تلاوة القرآن الكريم ، بتدبر وتمعن وخشوع وإقبال ، وفق الله الجميع لكل خير .

☆ ☆ ☆

(١٩)

فتح مكة

كما شهد شهر رمضان مبدأ الوحي ، ونزول القرآن ، في مكة المكرمة ، فقد شهد مصرع الشرك ، ووحدة العقيدة فيها كذلك ، ولما كانت مكة مركزاً للعرب ، وبلداً للرسول ﷺ ، ومكاناً للحج والعمرة ، وملتقى للمسلمين ، ومهوى أفئدتهم في كل مكان ، فقد كان فتحها ، من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الإسلام ، إذ به توحدت البلاد على عقيدة واحدة ، وقضي به على الوثنية العربية ، ومبادىء الدعاوي المناهضة للإسلام .

فلما منعت قريش النبي ﷺ سنة سبع من دخول مكة ، ووقع بينهم صلح الحديبية ، وغدرت قريش بالصلح ونكثت بالعهد ، استعدّ النبي ﷺ للخروج لفتح مكة ، وأمر الناس بالاستعداد له ، وكتم الأمر عن قريش ، ودعا الله أن يمكّنه من مباغتة قريش بذلك ، فقال : « **اللهم خُذ العيونَ والأخبارَ عن قريشٍ حتى نبغتها في بلادها** » وكان من نتائج ذلك ، أن استجاب الله دعاءه ، فأخفى الله الأخبارْ عن قريش ، فلم تعلم بخروج المسلمين إليهم ، حتى أن حاطب بن أبي بلتعة ، لما أرسل لهم رسالة ، يخبرهم فيها بما عزم عليه النبي ﷺ ، من الخروج إليهم ، علم بذلك النبي ﷺ عن طريق الوحي ، واستطاع من ردّ الرسالة ، قبل أن تصل إليهم ، ولم يتمّ لحاطب ما أراد ، فباغتهم رسول الله ﷺ في العشرين من رمضان ، سنة ثمان من

الهجرة ، بعشرة آلاف مقاتل ، ولم يتمكّنوا من المقاومة ، ودخلها ﷺ نهاراً ، بعد أن أخرج منها ليلاً ، دخلها قويّا فاتحاً ، بعد أن أخرج منها ضعيفاً هارباً ، دخلها متواضعاً لله ، منكِّساً رأسه لمولاه ، شاكراً لربه فضله عليه ، بهذا الفتح المبين ، وأمن أهل مكة ، وطاف بالكعبة وهو يشير إلى الأصنام التي حول الكعبة ، ويقول : « **جاء الحقّ وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً** » فما أشار على صنم ، إلا سقط دون أن يمسه ، ثم قال : « **يا معشر قريش إن الله قد أذهبَ عنكُم نخوةَ الجاهلّية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب** » وتلا قوله تعالى : ﴿ يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلْناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ، « **يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

وبعد تطهير مكة من الأوثان والأصنام ، وإشراقها بنور الإيمان ، عزم رسول الله ﷺ على هدم الأوثان التي ما زالت قائمة في ضواحي مكة، فبعث خالد بن الوليد في ٢٥ من رمضان إلى الطائف ، لهدم العزى ـ صنم كانت قريش تعظمه ـ ، فلما وصل إليها ، خرج عليه امرأة سوداء تولول ، فضربها بالسيف ، ولما رجع إلى النبي ﷺ وأخبره خبرها ، قال : إنها العزّى ، ولن تعبد بعد ذلك .

كما بعث رسول الله ﷺ ، عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ ، لهدم سُواع ـ صنم لهذيل على بعد ثلاثة أميال من مكة ـ ، ولما وصل إليه ، كسره وأزال أثره .

وبعث رسول الله ﷺ ، سعداً الأشهلي ـ رضي الله عنه ـ ، لهدم مناة وهي ـ صنم للأوس والخزرج قبل إسلامهم بالقديد ـ فهدمها وقضى عليها .

وهكذا وحد رسول الله ﷺ البلاد تحت راية الإسلام ، وقضى على الوثنية في بلاد العرب ، وطهرها من الشرك ، وجمعها تحت عقيدة واحدة في شهر رمضان ، الذي يتخذه كثير من المسلمين اليوم ، شهراً للخلود والراحة ، والكسل والنوم ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٢٠)

العشر الأواخر

كما لشهر رمضان ، من زيادة مزيّة وفضل ، على بقيّة الشهور ، فإن للعشر الأواخر منه ، زيادة مزيّة وفضل ، على سائر أيّام الشهر ، ولذا كان رسول الله ﷺ يخصّ هذه الأيام بزيادة العمل ، ويتفرّغ فيها له ما لا يتفرّغه في غيرها ، وما ذاك منه ﷺ ، إلا قطعاً لأعمال الدنيا ، وتفريغاً لباله منها ، وتخلّياً عنها لمناجاة ربه وذكره ودعائه .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ المئزر ، وأحيا ليله وأيقظ أهله » ، وفي رواية : « إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشدّ المئزر » ، وعنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره » .

والعشر الأواخر من رمضان ، لها خصائص كثيرة ، ليست لغيرها من الأيام ، وكان رسول الله ﷺ يخصها بأعمال لا يعملها في بقية الشهر .

منها الاعتكاف : الذي هو ملازمة المسجد ، وقطع العلائق عن الخلائق ، للتفرغ لعبادة الخالق ، والذي كان ﷺ يداوم عليه كل سنة ، حتى توفّاه الله ، فيخلو بربه ، ويحبس نفسه ، على طاعة الله وذكره ودعائه .

ومنها إحياء الليل بالصلاة ، فقد كان ﷺ يحيي ليالي

العشر الأواخر من رمضان ، ويوقظ أهله للصلاة ، فيها دون غيرها من الليالي ، وفي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ : « أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ، وكلّ صغير وكبير ، يطيق الصلاة » ، وقال سفيان الثوري : أحبّ إلي إذا دخل العشر الأواخر ، أن يتهجّد بالليل ، ويجتهد فيه ، ويُنهض أهله وولده ، إلى الصلاة إن طاقوا ذلك .

ففي العشر الأواخر من رمضان ، يجتمع للمؤمن جهادان ، جهاد لنفسه بالنهار على الصيام ، وجهاد بالليل على القيام ، فمن جمع بين هذين الجهادين ، ووفّى بحقوقهما ، وصبر عليهما ، وُفي أجره بغير حساب ، فينبغي للمسلم ، أن يجتهد في هذه الليالي المباركة ، في القيام والقراءة والدعاء ، فهذه عادة السلف في كل الزمان ، لا سيّما في شهر رمضان ، لا سيّما في هذه العشر .

ومن خصائص هذه العشر ، ليلة القدر ، التي يستحبّ تحرّيها في رمضان ، وفي هذه العشر الأواخر خاصّة ، وفي الأوتار منه بالذات ، فقد قال ﷺ : « **التمسوها في العشر الأواخر في الوتر** » ، وفي السبع الأواخر أرجى ، وهي في ليلة سبع وعشرين أحرى ما تكون ، ويستحبّ فيها : الإكثار من الدعاء ، وبخاصة الدعاء ، الذي علمه النبي ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ حين قالت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أيّ ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « **قولي : اللهم إنك عفو تحبّ العفو فاعفُ عني** » .

وفي العشر الأواخر ، صدقة الفطر ، التي تؤدَّى يوم العيد

قبل الصلاة ، ويجوز تأديتها قبل العيد بيوم أو يومين ، وفيها يودّي كثير من المسلمين زكاة أموالهم ، ويضاعفون من النفقات على الأقارب ، والصدقات على الفقراء والمساكين ، والأرامل والأيتام .

وعلى كل ، فإن العشر الأواخر من رمضان ، موسم المواسم ، لكل الأعمال الصالحة ، فمن فرط في الأعمال الصالحة في أيام السنة ، فلا يفرّط في رمضان ، ومن فرط في رمضان ، فلا يفرط في أيام العشر الأواخر منه . وفق الله الجميع لما يحبّه ويرضاه الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٢١)

الاعتكاف

الاعتكاف سنة من سنن المصطفى ﷺ ، التي شرعها لأمته ، وحافظ عليها بنفسه ، حتى توفاه الله ، وقد عرفه العلماء بأنه : لزوم مسجد لعبادة الله تعالى وطاعته ، فيه من الحكم الكثيرة ، والأسرار الدقيقة ، ما يخفى على كثير من الناس .

وحيث أن مدار الأعمال كلِّها على القلب ، فإذا صلح القلب ، صلح العمل ، وإذا فسد القلب ، فسد العمل ، كما قال ﷺ : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

فقد حرص الإسلام ، في هذه الأيام الفاضلة في رمضان ، على إصلاح قلب المسلم ، وتهيئته للعبادة ، وإبعاده عن الملهيات ، وشواغل الدنيا ، وفضول الشهوات ، ولمّ شعثه ، بإقباله على الله تعالى ، وشرع له الاعتكاف ، الذي يتحقّق له به ذلك ، فيخلو المرء بنفسه ، ويتفرغ لعبادة ربه ، بقلب خال من الشواغل والملهيات ، صاف من كلّ الشوائب والعوارض الأخرى ، بعيد عن فضول الكلام ومنغّصات الحياة ، غير متعلّق بمطعم ولا مشرب ولا منكح ، فإذا اتصف العبد بهذه الصفة ، ونجح في التخلّص من هذه الفضول ، واستمرّ على هذه الحال ، أقبل قلبه على الله ، وكان عمله أحرى بالقبول ، وأدعى لزيادة الأجر ، ومضاعفة الحسنات .

ولقد اعتكف النبي ﷺ في العشر الأول من رمضان ، ثم العشر الأواسط ، يلتمس فيها ليلة القدر ، ثم تبيّن له أنها في العشر الأواخر ، فداوم على اعتكافها ، وفي العام الذي قبض فيه اعتكف ﷺ العشر الأواسط والأواخر جميعاً ، وترك الاعتكاف سنة فقضاه في شوال ، وكان ﷺ يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من ليلة إحدى وعشرين ، وكان ﷺ إذا أراد الاعتكاف أمر بخباء فضرب له في المسجد يخلو فيه بربّه ، عزّ وجل ، وشدّ مئزره ، وطوى فراشه ، وأيقظ أهله ، اجتهاداً في العبادة ، ولا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان ، وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة ، فترجلّه وهو في المسجد .

ومع أهميّة الاعتكاف في صفاء النفس ، وصلاح العبادة ، وكثرة ما ورد فيه من الترغيب ، وأهمّ ذلك حرص النبي ﷺ عليه ، والمداومة على فعله ، إلا أن الملاحظ عزوف الناس عن الاعتكاف ، حتى قال الزهري ـ رضي الله عنه ـ : عجباً للمسلمين ، تركوا الاعتكاف ، مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله .

فينبغي لكل مسلم ، أن يشارك في إحياء هذه السنة ، التي كادت أن تندثر ، ويبادر إليها ، ويدرّب نفسه عليها ، ويقتدي بالمصطفى ﷺ في هذه الأيام الفاضلة ، ويفرغ نفسه ولو في بعضها للخلوة بربّه ، والعكوف بقلبه وقالبه على ما يقرّبه إليه ، فإن إحياء هذه السنة ، أولى وآكد من العمرة التي يتزاحم عليها الناس ، ويكثرون منها في مثل هذه الأيام ، فالنبي ﷺ داوم على

الاعتكاف كلّ سنة ، ولم يعتمر في رمضان ، وإذا منّ الله على أحد بالاعتكاف ، فينبغي له أن يخلص نيته لله تعالى ، ويعتكف وحده ، ويخلو بربّه ، ويجتهد في العبادة ، سواء بالصلاة والذكر ، أو تلاوة القرآن ، أو الاستغفار والدعاء ، وترقب ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، ليوافقها المسلم وهو على أحسن ما يكون ، من صفاء القلب وكثرة العبادة وحبس على طاعة الله ، وإذا اعتكف معه غيره ، فلا ينبغي أن يكون المعتكَفُ مكاناً لاستقبال الزائرين ، والسمر والسهر مع الأصحاب ، وتجاذب أطراف الحديث بالقيل والقال ، وإضاعة معنى الاعتكاف ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٢٢)

العلم ورمضان

للعلم في الإسلام أهمية كبرى ، وله في شهر رمضان مكانة خاصة ، فكما أن رمضان شهر الصيام والقيام ، فهو كذلك شهر العلم والقلم ، والقراءة والكتابة ، ومحو الأمية عن الإنسان ، فقد افتتح الوحي في شهر رمضان بطلب القراءة ، وبدأت الرسالة المحمدية برسول أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، وأصبح بهذه الرسالة معلماً للأميين ، بل وللعالم كله .

قال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين وآخرينَ منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ وجاءت قصة نزول جبريل ـ عليه السلام ـ على نبيّنا محمد ﷺ بالوحي وطلب القراءة ، في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « أول ما بدىء به الرسول ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ثم حُبّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتعبد فيه الليال الطوال ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه جبريل ، فقال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرا ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطّني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطّني الثالثة ،

ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربّك الذي خلق ❁ خلق الإنسان من علق ❁ اقرأ وربك الأكرم ❁ الذي علم بالقلم ❁ علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ » .

هكذا تأتي افتتاحية الوحي في رمضان بالأمر بالقراءة ، ثم يأتي بعدها ذكر القلم ـ الذي هو آلة الكتابة ـ والمنوّه عنه بسورة القلم ، التي هي من أوائل سور القرآن نزولاً ، وهي قوله تعالى : ﴿ ن ❁ والقلم وما يسطرون ❁ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ❁ وإن لك لأجراً غير ممنون ❁ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ، وفي هذا المنهج إشعار بعظم الرسالة المحمدية ، رسالة العلم والإيمان ، رسالة القلم والبيان ، رسالة القراءة والكتابة وتكريم الإنسان .

ومن مظاهر العلم في رمضان ، أن هذا الشهر الكريم بالذات ، كان شهراً لتدارس القرآن ومراجعته ، بين جبريل عليه السلام ، وبين نبينا محمد ﷺ ، فكان جبريل ـ عليه السلام ـ يدارس رسول الله ﷺ القرآن كل عام ، ويراجعه معه ، لإثبات ما أمر الله بإثباته ، ونسخ ما أمر الله بنسخه ، كما قال الله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ ، وفي العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ ، راجعه معه مرتين .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الخيل المرسلة » .

ومن مظاهر العلم في رمضان ما كان من موقف رسول الله ﷺ مع أسرى بدر ، الذي لا مال لهم ، إذ اتفق معهم على أن يفادي كل واحد منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان أهل المدينة القراءة والكتابة ، ونجد النبي ﷺ وهو في بداية تكوين الدولة الإسلامية وإنشائها ، وفي أشدّ الحاجة إلى المال والسلاح ، لا ينسى سلاح العلم والتعليم ، بل يقدّمه على كلّ حاجاته ، ليعلن على الناس كافة أن العلم ركن ركين ، وشيء أساسي في بناء الأمم ، وقوتها ونهضتها وعلو شأنها .

وهكذا نجد أن النبي ﷺ يؤمر بالقراءة في رمضان ، فيقرأ وهو أمي لم يسبق له قراءة ، ويصبح معلماً للناس ، ونجد اهتمامه العملي بالعلم في رمضان عندما يبين حاجة الناس للعلم ، فيأمر بتعليم القراءة والكتابة ، ويحرص عليها ، ويقدمها على حاجاته الأخرى من المال والرجال والسلاح ، وليس فوق ذلك اهتمام .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٢٣)
العمرة والاعتكاف في المسجد الحرام

العمرة هي : زيارة البيت الحرام بإحرام وطواف وسعي وتحلل ، وهي واجبة في العمر مرة واحدة ، لقوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ ، ولحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ : هل على النساء من جهاد ؟ قال : « **نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة** » ، وورد في فضلها ، أحاديث كثيرة ، منها قول الرسول ﷺ : « **العمرة إلى العمرة كفّارة لما بينهما ، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة** » ، وهذا الفضل للعمرة في كل زمان .

أما العمرة في رمضان ، فقد قال فيها رسول الله ﷺ : « **عمرة في رمضان تعدل حجة** » ، أو قال : « **حجة معي** » ، أي في الأجر والثواب ، وهذا فضل كبير وفوز عظيم ، لكل من لم يدرك رسول الله ﷺ ولم يحج معه ، وفرصة كبرى لا ينبغي لمسلم ، أن يضيّعها وهو قادر عليها ، وخاصة في هذا الوقت ، الذي تهيأت فيه الأسباب ، وأمنت فيه السبل ، وتوفرت فيه الإمكانات لأداء العمرة في رمضان ، والاعتكاف في المسجد الحرام .

وإن مما يسُرّ كل مسلم ، ويثلج صدره ما يشاهده كلّ عام من هذه الجموع الغفيرة التي تقصد المسجد الحرام للعمرة والاعتكاف ، وتجتمع فيه لأداء الصلاة ، والدعاء والاستغفار ،

وقراءة القرآن ، طلباً للثواب ومضاعفة الأجر في شهر رمضان ، وخاصة في العشر الأواخر منه ، لكن يسوؤه ما يراه من مخالفات شرعية من بعض الناس .

منها : أن بعض الناس يتركون أعمالهم الرسمية والواجبة، كإمامة المساجد ، والوظائف ، ورعاية أهليهم وأبنائهم ، ويذهبون الأيام الطويلة ، لأداء العمرة أو الصلاة في المسجد الحرام ، فيترك المرء عمله الرسمي الواجب لأداء سُنّة ، أو يضيع أهله وأبناءه بدون رقيب يحفظهم ، ولا راعي يرعى شؤونهم وحاجاتهم الضرورية .

وبعض الناس يذهبون بجميع أولادهم ومخدوميهم ، ويزاحمون بهم المصلين في هذه البقعة الصغيرة ، التي لا يمكن أن تستوعب مثل هذه الأعداد الكبيرة من الناس ، بحيث يلاحظ المرء أن نصف الموجودين في الحرم من الأطفال والرضع ، أو الخدم اللاتي ليس لهن محارم ، أو يعتكف راعي الأسرة والمسؤول عنها في المسجد الحرام ، ويقضي غالب وقته فيه ، ويغفل عما استرعاه الله من الأهل والبنين ، تاركاً لهم الحبل على الغارب ، في تبرج النساء ، ومزاحمة الرجال في الأسواق، أو شقاء الأطفال ، وعبثهم في الميادين ، ومضايقتهم الناس أثناء الصلاة فإذا كان للإنسان عمل رسمي ، فالأولى أن يبقى في عمله الواجب ، وأجره على قدر نيته ، ولا ينبغي له أن يترك واجباً لأداء سنة ، وإذا كان يرغب في العمرة في رمضان ، فإنه ـ بحمد الله ـ لا تأخذ من وقته شيئاً ، ويمكنه أداؤها في الإجازة الأسبوعية ، أو إجازة العيد .

وإذا كان لديه أطفال ، فالأولى أن يبقى معهم ، لتربيتهم ورعايتهم وحفظهم ، وإذا كان يرى أن المصلحة في ذهابهم معه ، فليحافظ عليهم ، وليصطحبهم معه في كل صلاة ، ولا يطيل بهم المقام هناك ، فإن كثيراً من الناس يذهب لطلب الأجر ، ثم يرجع بوزره ، ووزر من كان معه ، ممن هو تحت ولايته ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٢٤)

ليلة القدر

ليلة القدر ليلة عظيمة ، تتنزّل فيها الملائكة بالسلام ، ويكون المسلمون فيها رسل سلام ، بكفّ الأذى ، والاجتهاد بالعبادة والاعتكاف والقيم ، سميت بذلك لفضلها ، وجلالة شأنها ، وعلو مكانتها عند الله تعالى ، ولكثرة ما فيها من مضاعفة الأجور ، ومغفرة الذنوب وستر العيوب ، وقيل : سميت بذلك لأن المقادير تقدّر وتكتب فيها .

ولقد عظم الله شأنها ورفع منزلتها ، ونوه عنها بقوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ ، ووصفها الله تعالى بأنها ليلة مباركة ، في قوله تعالى : ﴿ حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيه يفرق كل أمر حكيم ﴾ .

ولما تطلع رسول الله ﷺ إلى ما يكرم الله به هذه الأمة ، ويرفع درجاتها ، كرمها الله تعالى بهذه الليلة المباركة ، وجعل العمل فيها يعادل العمل في ألف شهر ـ أي : ثلاث وثمانين سنة ـ وأنزل على عباده فيها من نور الهدى ، ما أزال به عنهم الظلام والضلال ، ومن روح الوحي ما أحيا به القلوب ، وأصلح لهم به الأعمال ، وهي بهذا القدر حرية بالحرص على قيامها ، والانقطاع من المشاغل من أجلها .

ولقد أُريها رسول الله ﷺ وأراد إخبار أمته بها ، ولكنها رفعت ، قال عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال ﷺ : « **خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة** » .

ولعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخفى علمها على العباد ، رحمة بهم ، ليكثروا من العمل ، في هذه الليالي الفاضلة ، فيزدادوا بذلك تقرباً إليه واختباراً لهم ، ليتبين بذلك من كان مجتهداً في طلبها ، حريصاً على موافقتها ، ممن هو متهاون بها ، غير جاد في تحصيلها .

وبين النبي ﷺ مواطنها ، في الوتر من العشر الأواخر من رمضان ، وفي كل ليالي الوتر جاءت نصوص صريحة ، وأحسن ما قيل فيها أنها تنتقل ، ففي سنة تكون في ليلة سبع وعشرين ، وسنة أخرى في خمس وعشرين ، وسنة في ثلاث وعشرين ، وسنة في إحدىٰ وعشرين ، وسنة في تسع وعشرين ، وهكذا ليس لها ليلة معروفة .

ولقد قام الرسول ﷺ العشر الأواخر كلها ، واجتهد في العبادة فيها ، التماساً لليلة القدر ، ورجاء موافقتها ، وقال ﷺ : « التمسوها في العشر الأواخر في الوتر » ، وهي في السبع الأواخر أرجى ، وفي ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون ، ولا يلزم أن يعلم بها المرء ، ولا أثر لذلك على العمل فيها ، وإنما العبرة بالجد في العمل ، والاجتهاد في العبادة والصلاة ،

وكثرة الدعاء والاستغفار والذكر فيها ، سواء علم بها ، أم لم يعلم ، يقول رسول الله ﷺ : « **من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

فينبغي للمسلم أن يتحرى هذه الليلة ، في هذه العشر الأواخر كلها ، ويفرغ نفسه لعبادة ربه ، ويكثر فيها من الصلاة ، وقراءة القرآن ، والدعاء ، وخاصة الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لعائشة ـ رضي الله عنها ـ ، حين قالت له : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : « **قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عني** » .

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

(٢٥)

صيام التطوع

النوافل كلّها تجبر الواجبات ، وتتمم نقصها ، وترفع الدرجات عند الله تعالى ، وتميز الرجل الصالح من غيره ، وتظهر من كان محباً للعبادة ، قائماً بها عن قناعة وإيمان ممن يفعلها مستثقلاً لها ، ما زال لديه فيها شك وعدم اقتناع ، والصيام كما هو واجب في رمضان ، فهو من أحب العبادات إلى الله في غيره ، وكما قال أحمد ـ رحمه الله ـ هو من أفضل ما تطوع به مسلم في غير رمضان ، وقد قيل : إن جميع العبادات ، عبد المشركون بها آلهتهم إلا الصيام فلم يُعبد به أحد إلا الله ، ولذلك اختص الله به ، وأخبر أنه يتولى بنفسه الجزاء عليه ، في قوله تعالى : « **إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** » ، ولهذا كان ﷺ يصوم من الأيام الفاضلة ، حتى يقال : لا يفطر ، ويفطر حتى يقال : لا يصوم ، والأيام الفاضلة تتفاوت في الفضيلة والأجر ، وأفضل الصيام بعد صيام رمضان ، صيام شهر الله المحرم ، وهو أول شهور العام ، وسمي المحرم ، لكونه شهراً محرماً ، تصريحاً بفضله ، وتأكيداً لتحريمه ، يقول ﷺ : « **أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم** » ، وآكده العاشر ثم التاسع ، لقوله ﷺ : « **لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع مع العاشر** » سئل ابن عباس عن صيام يوم عاشوراء ، فقال : ما صام

رسول الله ﷺ يوما يطلب فضله على الأيام ، إلا هذا اليوم ، ولا شهراً ، إلا هذا الشهر . يعني رمضان .

ومن الأيام الفاضلة : صيام العشر الأول ، من شهر ذي الحجة ، يقول ﷺ : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله ـ عز وجل ـ من هذه الأيام** » ـ يعني العشر الأول من ذي الحجة ـ قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ . قال : « **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء** » ، وآكده يوم عرفة لغير الحاجِ ، لقوله ﷺ : « **صيامُ يوم عرفة أحتسبُ على الله أن يكفّرالسنةَ التي قبله والسنةّ التي بعده** » .

ومن الأيام الفاضلة : صيام ستة أيام من شهر شوال ، لقوله ﷺ : « **من صام رمضان وأتبعه بستٍّ من شوال ، فكأنما صام الدهر** » .

ومن الأيام الفاضلة ، صيام ثلاثة أيام من كلّ شهر ، والأفضل أن تكون أيام البيضِ ، لقوله ﷺ : « **إذا صمتَ من الشهر ثلاثةَ أيامٍ ، فصم ثلاثةَ عشرَ ، وأربعةَ عشرَ ، وخمسةَ عشرَ** » .

ومن الأيام الفاضلة ، صيام يومي الإثنين والخميس ، لما روي من أنه ﷺ كان أكثر ما يصوم ، الإثنين والخميس ، فسئل عن ذلك فقال : « **هما يومان تُعرضُ فيهما الأعمالُ ، على ربِّ العالمين ، وأُحبُّ أن يُعرضَ عملي وأنا صائم** » .

ومن الأيام الفاضلة ، صيام يوم ، وإفطار يوم ، لقوله ﷺ : « **أحبُّ الصيامِ إلى الله ، صيامُ داودَ ، وأحبُّ الصلاةِ إلى**

الله ، صلاةُ داودَ ، كان ينامُ نصفَهُ ويقومُ ثلثَهُ وينامُ سُدُسَهُ ، وكان يصومُ يوماً ويفطرُ يوماً » .

وأذن ﷺ لعبد الله بن عمر ، أن يصوم يوماً ويفطرَ يوماً ، ونهى عن صيام الدهر ، وقال : « **من صامَ الدهرَ لا صامَ ولا أفطرَ** » .

ولعل نهيه ﷺ ذلك، رفقاً بالأمة، وشفقة على المسلمين، وإرشاداً لمصالحهم ، وحَثّاً لهم على ما يطيقونه على الدوام ، لأن أحبّ الأعمال إلى الله ، ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ .

فحَرِيٌّ بالمسلم ، أن يتمسّك بسنة رسول الله ﷺ ويكونَ له حظٌّ وافر ، من صيام النفل في الأيام الفاضلة ، يُزكّي به نفسه ، ويَجبُر به أعماله ، ويتقرب به إلى الله تعالى ، في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٢٦)
الدعاء في رمضان

الدعاء مخُّ العبادة ، وروحها ، وخالصها ، الدعاء ينبىء عن حقيقة العبوديّة لله ، وقوّة الافتقار إليه ، الدعاء يوجب للعبد خضوعه وخشوعه لربّه ، وشدة الانكسار إليه ، الدعاء الخالص لله ، يقطع الرجاءَ بكلّ المخلوقين ، ومن أعظم القُرَب إلى ربّ العالمين ، الدعاء سلاح للمؤمن لا يصدأ ولا ينكسر ولا يلين ، ولا ينتهي موديله ـ طرازه ـ ، ولا يحتاج إلى صيانة ولا إلى تخزين ، سلاحٌ لا يقف دونه السلاح ، ولا الحصون ، ولا حيلةَ فيه للخبراء العسكريّين .

والله بعُلوّه وعظمته ، سميعٌ قريب ، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه في كلّ حين ، وخاصَة في رمضان ، وخاصّة في العشر الأواخر ، وخاصّة في ليلة القدر .

ولكلّ مسلم دعوة مستجابة في رمضان ، إذا أكمل شروطها ، وأحسن أداءها ، وتحرّى فيها أسباب الإجابة ، التي ترفعها فوق الغمام ، وتجنب موانعها ، التي تسلبها الصحّة والكمال والتمام .

وإذا أراد المسلم أن يُستجابَ لدعائه ، فليسلُك الطرقَ الموصِلة إلى الاستجابة ، وليعمل الأسباب ، وليجتنب الموانع والمعوّقات ، شأنه في ذلك كأيّ مرغوبٍ فيه آخر .

فأمّا الطريق الموصل إلى الاستجابة ، فهو : الاستجابة

لربّ العالمين ، في كلّ شأن من شؤون الحياة ، وإلا فكيف يأمل المرة ، أن يستجيب الله دعاءه ، وهو لم يستجب لله عندما طلب الله منه الاستجابة له ، يقول تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادِي عنّي فإني قريب أجيبُ دعوة الداعِ إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون ﴾ .

فقد قرن الله الاستجابة للدعاء بالاستجابة له ، فإذا استجاب المرء لله ، في كلّ شأن من شؤون حياته ، فقد مهّد الطريق لاستجابة دعائه ، ولم يبق عليه إلا عمل الأسباب ، واجتناب الموانع .

أما أسباب الإجابة فكثيرة :

منها : اختيار الزمان الفاضل ، كشهر رمضان ، وكوقت السحر ، وأدبار الصلوات ، وفي حال السجود ، وفي الساعة الأخيرة من يوم الجمعة ، وعند إفطار الصائم ، ونحو ذلك .

ومنها : اختيار المكان الفاضل ، كمكّة والمدينة والمساجد .

ومنها : حال الداعي ، كأن يكون مسافراً ، أو صائماً ، أو مظلوماً ، أو مضطرّاً ، أو مقاتلاً منكسراً بين يدي الله ، قاطعاً الأمل في غيره ، وأن يدعو الله وهو موقن بالإجابة .

يقول ﷺ : « **ادعُوا الله وأنتم مُوقِنونَ بالإجابةِ واعلَمُوا أنّ الله لا يَستجِيبُ مِن قلبٍ غافلٍ لاهٍ** » .

ومنها : الالتزام بآداب الدعاء ، من الوضوء ، واستقبال القبلة، ورفع اليدين ، وإطابة المطعم ، والدعاء بجوامع الكلم .

وأما موانع إجابة الدعاء فكثيرة :

منها : أكل الحرام ، سواء عن طريق أكل الربا ، أو الغش ، أو إنفاق السلعة بالكذب ، أو أكل مال اليتيم ، أو غير ذلك ، ففي صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ : « **ذكر الرجلَ يطيل السفر أشعثَ أغبرَ ، يمدُّ يدهُ إلى السماء ، يا ربِّ يا ربِّ ، ومَطعمُهُ حرامٌ ، ومشربُه حرام ، وغُذِيَ بالحرام ، فأنّى يستجابُ لذلك** » .

ومن موانع الدعاء : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في الحديث القدسي قال الله تعالى : « **يا أيّها الناس مُروا بالمعروف وانهّوا عن المنكر ، قبلَ أن تدعُوني فلا أستجيبُ لكم ، وتستنصِرُوني فلا أنصرُكم ، وتسألوني فلا أعطيكم** » .

ومن الدعاء في رمضان ، ما اعتاده الناس في الوتر والختمة ، وهو أمر مشروع ، يرقق القلوب ، ويقوي فيها الإيمان واليقين ، ولكن ينبغي ، أن يقتصر فيه على ما ورد من الأدعية ، ولا يضاف إليه ما لم يرد ، من الصياح والعويل ، ولا يُعتدى فيه ، بذكر تفاصيل ما يقع من عذاب القبر ، والبعث والنشور ، والحساب والعقاب ، يقول تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ ، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبينا محمد .



(٢٧)
قضاء رمضان

قد لا يستطيع من وجب عليه الصوم من أداء الصيام في وقته ، إمّا لعجز ، أو مرض ، أو سفر ، أو غير ذلك من الأعذار المبيحة للفطر في رمضان ، أو المانعة للصيام ، وإذا أفطر أحد في رمضان لأيّ سبب ، وجب عليه القضاء في غيره من الأيام ، فإن كانت أياماً ، قضى عددها ، وإن أفطر الشهر كاملاً ، قضى عدد أيامه ، يقول تعالى : ﴿ ومن كان مريضاً أو على سفر فعدّة من أيام أخر . . . ﴾ .

وقضاء صيام رمضان له أحكام وآداب ، والمفطرون فيه أنواع :

النوع الأول :

من لا يجب عليه غير القضاء فقط ، وذلك كمن كان قادراً على الصيام ، وأفطر لعذرٍ في نفسه ، كالمسافر والمريض مرضاً يرجى برؤه ، والحامل والمرضع ، إذا أفطرتا خوفاً على نفسيهما، أو كان ممن لا يصحّ منه الصيام، كالحائض والنفساء .

النوع الثاني :

من يجب عليه مع القضاء الكفارة ، وهؤلاء فئتان :

الفئة الأولى : من أفطر بجماع في نهار رمضان عامداً ، فعليه القضاء والكفارة ، والكفارة هنا : عتق رقبة ، فإن لم يجد

صام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً .

الفئة الثانية : من أفطر في رمضان لمصلحة نفسه ، وتأخر في القضاء حتى رمضان آخر ، أو أفطر لمصلحة غيره ، وذلك كالحامل والمرضع ، إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما ، وكرجال الدفاع المدني ، أو غيرهم ، ممّن يقتضي عمله الفطر ، لإنقاذ غريق أو مصاب أو نحوه . والكفارة هنا : إطعام مسكين عن كل يوم .

النوع الثالث :

من عليه الكفّارة فقط ، وذلك كمن أفطر لمرضٍ لا يُرجى برؤه ، وليس له عذر آخر ، أو أفطر لمرض يُرجى برؤه ، وبرىء ، وفرّط في القضاء فمات ، فعلى ورثته الصيام عنه أو الكفارة ، وهي إطعام مسكين عن كل يوم .

النوع الرابع :

من ليس عليه قضاءٌ ولا كفّارة ، وذلك كالمريض مرضاً لا يُرجى برؤه ، إذا كان مسافراً ، أو لديه عذر مبيح للفطر ، غير هذا المرض ، فلا يُكفّر لوجود العذر المعتاد ، ولا يقضي للعجز عن الصيام .

أما كيفيّة القضاء ، فيستحبّ على الفور متتابعاً ، مع سعة الوقت ، براءةً للذمة ، ومسارعة إلى الخيرات ، وخوفاً من حدوث حائل دونه ، وإن لم يقضه فوراً ، وجب العزم على القضاء ، ويجوز تفريقه متراخياً حتى رمضان القادم ، وإذا لم يبق من أيام شهر شعبان إلا عدد الأيام التي أفطرها ، وجب

القضاء فوراً متتابعاً ، كأداء رمضان في حق من لا عذر له ، قالت عـائشـة ـ رضـي الله عنهـا ـ : « كـان يكـون علـيّ الصـوم مـن رمضان ، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان ، وذلك لمكان رسول الله ﷺ » .

وعلى الصحيح : أن تأخير القضاء لا أثر له على صيام النفـل ، فيجـوز للمـرء التنفـل بـالصيـام ، كصيـام يـوم عـرفـة وعاشوراء ونحوها تطوعاً ، ولو كان عليه صيام من رمضان ، ما دام الوقت واسعاً ، ولكن الأولى كما تقدم ، البداءة بقضاء الواجب ، وإبراء الذمّة منه أولاً .

وفّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم .



(٢٨)
صدقة الفطر

لما كان يوم الفطر يومَ عيد المسلمين ، ويوم فرح وسرور ، وغبطة بإكمال العدة ، وإتمام شهر الصيام ، وكان من حقّ كل مسلم أن يفرح بهذا اليوم ، ويتساوى مع غيره في بهجة العيد وإحساسه بقدومه ؛ شرعت صدقة الفطر ، طُهرةً للصائم من اللغو والرّفَث ، وطُعْمةً للمسكين ، وكفّاً ليده عن الطلب ، وحفظاً لماء وجهه عن المسألة ، حتى يشعر بكيانه في المجتمع ، غنيّاً عن الناس ، قد استغنى من غير مسألة ، واعتزّ بدون مذلّة ، وأحسّ بالعيد كما يحسّ به الآخرون ، يقول رسول الله ﷺ : « **أغنوهم بها عن السؤال في ذلك اليوم** » ، وجاء عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ما يدلّ على هذا المعنى ، حيث قال في زكاة المال : إن الله قد جعل في مال الأغنياء ، ما يسدّ حاجة الفقراء ، فما اشتكى فقير إلا بقدر ما قصّر غني ، وهذا المعنى يرد في صدقة الفطر ، فقد جعل الله فطرة الأغنياء ، غناء للمساكين ، فما احتاج فقير يوم العيد ، إلا بقدر ما قصّر غني عن زكاة الفطر .

ولقد ربط رسول الله ﷺ بين صوم رمضان ، وبين زكاة الفطر في قوله : « **شهر رمضان معلّق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر** » .

ومن أحكام صدقة الفطر في رمضان :

أنها تخرج صاعاً ، من غالب طعام البلد ، أيّاً كان نوعه ، تيسيراً على الناس ، وإزالة للفوارق بينهم ، وتعاطفاً مع المساكين، ومخالطة ومشاركة لهم في الطعام ، في ذلك اليوم ، بعد مشاركتهم في شهر رمضان ، في الشعور والإحساس بالجوع ، ولا يجزي إخراج ثمنها ، لأنه لم يرد .

وقد فرضها رسول الله ﷺ من طعام البلد آنذاك ، فورد أنه ﷺ فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس ، صاعاً من بُرّ ، أو صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، أو صاعاً من أَقِط ، أو صاعاً من زبيب ، على العبد والحر ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، من المسلمين ، وعليه فلو كان شيء من هذه الأصناف ، طعاماً في وقت دون وقت ، لكان مجزياً في الوقت الذي يكون فيه طعاماً ، ولا يجزي في الوقت الذي لا يكون فيه طعاماً .

ومن أحكامها :

أنه يستحبّ إخراجها يوم العيد ، قبل الخروج للصلاة ، لحديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ : « **أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر ، قبل خروج الناس إلى الصلاة** » ، ويأثم المرء بتأخيرها عمداً ، فلو أخّرها من تجب عليه إلى بعد الصلاة ، لم تسقط عنه ، وأصبحت ديناً في ذمّته يلزمه تأديتها ، ولكنها صدقة من الصدقات ، يقول ﷺ : « **من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات** » ،

ويجوز تقديمها قبل العيد بيوم أو يومين ، وخاصّة إذا كانت من الطعام الذي يحتاج إلى كلفة ووقت في تهيئته وإعداده .

ومن أحكامها :

أنه لا يقتصر وجوبها على الصائم فقط ، بل تلزم الصائم وغيره ، سواء كان كبيراً أو صغيراً ، ذكراً كان أو أنثى ، حتى أن بعض العلماء استحبّها عن الحملْ .

ومن أحكامها :

أنه ينظر فيها إلى مصلحة المسكين ، فتعطى لمن هو أحوج لحاجة نفسه ، ويجزىء إعطاء الجماعة من المساكين ، ما يلزم الواحد ، وعكسه بأن يعطى الواحد ما يلزم الجماعة ، وإذا وصلت إلى المسكين فأخرجها عن نفسه جاز ، حتّى ولو عادت إلى من أخذها منه ، ما لم يكن هناك اتفّاق بينهم ، وحيلة لإسقاط الزكاة . وفق الله الجميع لما يحبّه ويرضاه وصلى الله على نبينا محمد .



(٢٩)
وداع رمضان

لما كان الناس في استقبال شهر رمضان فئتين :

فئة تستقبله بالفرح والغبطة ، والسرور والبهجة ، تعدّ العدة لاستقباله ، ويبشّره بعضهم بعضاً بقدومه ، ويهنّيء بعضهم بعضاً بحلوله .

وفئة لا يفرحون به ، ويستثقلون صيامه وقيامه ، ويعدون لياليه وأيامه ، ويعتبرونه ضيفاً ثقيلاً يتمنون انتهاءه ورحيله ؛ فإن الناس في وداع رمضان ، وعند ختامه ، فئتان :

الفئة الأولى :

من لم يظهر عليها آثار القبول . فتراها تفرح بختام الشهر وانتهائه ، تفرح به فرح السجين إذا أطلق من السجن ، وفرح المربوط إذا أطلق من القيد ، تفرح بالعيد ، لأنه بداية التحرر من أعباء الصيام ، حظهم من القيام السهر ، وحظّهم من الصيام الجوع والعطش .

الفئة الثانية :

من قد ظهر عليها آثار القبول ، تتأسف وتحزن ، على انقضاء شهر الرحمة وموسم الغفران ، وتعلم أنه شاهد لهم أو عليهم ، فبماذا تكون شهادته ؟ تراهم مع اجتهادهم بالعمل الصالح ، قلوبهم وَجِلة ، خوفاً من عدم القبول ، تراهم يهتمّون

لقبول العمل بعد أدائه ، أكثر من اهتمامهم بأدائه ، ويعتبرون القبول مقياس الفوز والنجاح ، لأنهم يعلمون أنه لا فائدة من العمل بدون القبول ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : « سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبُهم وَجِلة ﴾ هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : « **لا يا ابنةَ الصديق ، ولكنّهم الذين يصومونَ ويصلّونَ ويتصدّقونَ ، وهم يخافون أن لا يُقْبَل منهم ، أولئك الذين يُسارعون في الخيرات**» .

وصعد رسول الله ﷺ المنبر وهو يقول : « آمين آمين آمين ، فسئل عن ذلك ، فقال : أتاني جبريل فقال : يا محمد ، من أدركه شهر رمضان ، فلم يغفر له ، فدخل النار ، فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، ومن أدرك أبويه أو أحدهما ، فلم يبرّهما ، فمات فدخل النار ، فأبعده الله قل : آمين ، فقلت آمين ، ومن ذُكرت عنده ، فلم يصلّ عليك ، فمات فدخل النار ، فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت آمين » .

فحرِيٌّ بمن فرّط في أيام رمضان الماضية ، من الفئة الأولى ، ألا يقنط من رحمة الله ، ولا ييأس من روحه ، بل يسارع فيما تبقّي منه ، إلى التوبة والاستغفار ، ويلحّ بالدعاء ويطمع في الإجابة ، ويعلم أن الأعمال بالخواتيم ، يقول تعالى في الحديث القدسي : « **يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني ؛ غفرت لك على ما كان منك ، ولا أبالي . يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ، ثم استغفرتني ؛ غفرتُ لك ، يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ؛ لأتيتك بقرابها مغفرة** » .

وحرِيّ بمن وفّقه الله لشيء من العمل الصالح ، أن يحرص على أسباب قبوله ، ويبتعد عن ما يفسده ويردّه ، ويلتزم بآداب ختام العمل الصالح عموماً ، التي منها : ألا يمنّ الإنسان بعمله، وألّا يعجب به ، ويركن إليه ، وأن يعلم أن ما أصابه من خير ، فبفضل الله ورحمته وكرمه وتوفيقه ، فإن حمد الله على ذلك ، وسأله الثبات وحسن الختام ، وفقّه الله إلى ذلك ، وإن تكبّر وأُعجب بعمله ، ومنّ به على ربّه ، كان حظّه من عمله الخيبةَ والخسران ، وسلك بنفسه طريق الهلاك والحرمان ، قال بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنّة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار ، قالوا : كيف ذلك ؟ قال : يعمل الذنب ، فلا يزال نصب عينيه ، خائفاً منه مشفقاً وَجِلاً ، باكياً نادماً مستغفراً ، مستحياً من ربّه ، منكسر القلب بين يديه ، فيكون هذا الذنب ، خيراً له من طاعات كثيرة ، بما ترتّب عليه من هذه الأمور ، ويعمل الحسنة ، فلا يزال يمنّ بها على ربه ، ويتكبر بها ويعجب بنفسه ، فيورث له ذلك ، ما يحبط عمله ، ويكون سبباً في خسارته . تقبل الله منّا ومن جميع المسلمين الصيام والقيام ، ورزقنا حسن الختام ، وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم .



(٣٠)

عيد الفطر

العيد يوم البهجة والسرور ، يوم الرضا والاغتباط ، يوم الفوز بالغنائم ، والفرح بالنجاح ، ولكل أمة عيدٌ أو أكثر ، ولكلّ عيد مناسبة ، صحّ عن النبي ﷺ : أنه قدم المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، ولما سألهم عنهما ، قال : « **قد أَبدَلَكُم الله بهما خيراً منهما يومَ النحر ، ويومَ الفطر** » ، فهما إذاً من خصائص هذه الأمة .

ومناسبة العيد عند المسلمين ، ترتبط دائماً بالفوز بعمل عظيم ، ومكاسب كبيرة وكثيرة ، والعمل العظيم ، لا يكون من أعمال الدنيا الزائلة ، كقيام الدول وسقوطها ، ولا من الذكريات الزائفة ، كالموالد والزواجات ونحوها ، بل من أعمال الآخرة ، التي تقرب إلى الله ، وتجلب رضاه ، فعيد الفطر ـ مثلاً ـ يأتي بعد إتمام المسلمين صيام شهر رمضان ، وقيامهم فيه بحق الله ، جعل الله لهم هذا اليوم عيداً ، يعبّرون فيه عن فرحتهم وسرورهم ، ورضاهم واغبتاطهم بهذا الفوز العظيم ، والنجاح الكبير ، ولهذا سمّي هذا اليوم يوم الجوائز ، يقول ﷺ : « **إذا كان يومُ الفطر هبطَت الملائكة إلى الأرض ، فيقومون على أفواه السكك ، ينادون بصوت يسمعه جميع الخلائق إلى الثقلين يقولون : اخرجوا إلى ربّ كريم ، يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلّاهم ، يقول الله عز وجل لملائكته :**

ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلٰهنا وسيّدنا ، توفّيه أجره ، فيقول : أشهِدكم أنّي قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم ، رضاي ومغفرتي ، انصرفوا مغفوراً لكم » .

ويوم عيد الفطر له آداب ، ينبغي لكل مسلم الإلمام بها ، وقسر نفسه عليها .

فمن آدابه :

إقامة صلاة العيد وخطبته ، وهي فرض كفاية ، من شعائر الإسلام ، وأعلام الدين الظاهرة ، كان النبي ﷺ وأصحابه يداومون عليها ، ويحرصون على حضورها وأدائها .

ويسن خروج النساء لها ، وحضور الصلاة ، ليشهدن بركة ذلك اليوم ، ودعاء المسلمين .

ومن آدابه :

التكبير من الخروج من المنزل ، إلى دخول الإمام ، يقول تعالى : ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ .

ومن آدابه :

التجمل بالاغتسال ، والطِّيب والترجُّل ، ولبس أحسن الثياب ، فقد كان للنبي ﷺ جبة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة ، يتجمل بها ، وكان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ يغتسل يوم الفطر ، قبل أن يغدو إلى المصلى .

ولكن هذا خاص بالرجال فقط ، لأن النساء منهيّات عن

إظهار الزينة للرجال الأجانب في الأماكن العادية ، ففي المصلّيات والمساجد من باب أولى .

ومن آدابه :

الفـرح والسـرور ، وإظهـار الـوحـدة والقـوّة والأخـوّة ، والغبطة بهذا اليوم السعيد ، وتبادل الزيارات والتهاني ، وصلة الأرحام المقطوعة ، والعطف على الفقراء والمساكين ، ومسح رؤوس الأيتـام ، ومشـاركـة الجميـع فـي الطعـام ، واللعـب الشرعي ، المشتمل على الستر وعدم الاختلاط ، والحفاظ على آداب الإسلام ، وألا يكون الفرح بانتهاء الصيام ، وإنما بالتوفيق لإتمام الصيام والقيام .

ومن آدابه :

الابتعاد عن اللهو والعبث ، والغناء والسفه ، واستماع ومشاهدة المحرمات ، وإفساد الأموال فيما لا يجوز ، ومن السفه أن يعصي المؤمن ربه ، في حالة فرحه وسروره وغبطته بطاعته ورضاه ، أسأل الله الكريم أن يعيد علينا وعلى المسلمين هذا اليوم ، ونحن في يوم عيدنا الحقيقي ، يوم عزتنا وانتصارنا على عدّونا وأنفسنا الأمّارة بالسوء ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆

كلمة خاتمة

وبعد : فالكلام عن الصيام ورمضان طويل ، لا ينتهي بكتاب ، ولا يحيط به كاتب ، وفيه من الحكم والآداب والأحكام ـ وخاصة مع تغير الزمان واختلاف الأحوال ـ ما يحتاج إلى مجلّدات وأسفار ، ولكن هذا ما يسّر الله جمعه وترتيبه لنفسي والمبتدئين بالعلم مثلي ، حسب ما يقتضيه المقام ، وما أسعفتني به الذاكرة ، أسأل الله الكريم أن يجعل عملنا كله صالحاً ، خالصاً لوجهه .

حرر في يوم الإثنين ، الموافق الخامس من شهر شوال عام ألف وأربعمائة وخمسة عشر من الهجرة النبوية ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



الفهرس

